الفصل الرابع

الأوضاع السياسية
(١٩١٨ - ١٩٤٥م)

أولاً: تطور الأوضاع السياسية في السلطنتين القعيطية والكثيرية حتى عام ١٩٣٧م

١- العلاقات القعيطية الكثيرية:

جرت عند نهاية الحرب العالمية الأولى مفاوضات في عدن، بين ممثلين عن الدولتين القعيطية والكثيرية بإشراف المقيم السياسي البريطاني (استيوارت) لإنهاء نزاعاتهم الطويلة وأسفرت المفاوضات عن وضع مسودة معاهدة بينهما، ولإقرارها كان لابد من تصديق السلطان القعيطي والسلطان الكثيري عليها[١]. غير أن السلطان الكثيري لم يقبل بها في البداية لأنها جعلت منه في حالة التبعية للسلطان القعيطي، ولحسم الأمر طلبت السلطات البريطانية من كل من السلطان القعيطي والسلطان الكثيري القدوم إلى عدن، فقام الأخير بإرسال ولي عهده. وقد مارست السلطات البريطانية أساليب الترغيب والترهيب للتصديق على هذه المعاهدة وخاصة على الكثيري، وبالفعل تم التصديق على هذه المعاهدة من قبل الطرفين بحضور المقيم السياسي البريطاني.

واتباعًا لسياسة الترغيب البريطانية ولأن الكثيري الأكثر تضررًا من هذه المعاهدة، أرسل الجنرال (بيني) المقيم السياسي في عدن رسالة إلى السلطان منصور بن غالب والسلطان محسن بن غالب سلاطين آل عبدالله الكثيريين أظهر فيها أهمية المعاهدة لهما ولمصلحة الاستقرار في حضرموت وبين الفوائد التي سيحصلون عليها من صداقتهم لبريطانيا، وتعبيرًا عن الصداقة المأمولة وحسن نية البريطانيين تجاه السلطان الكثيري أرسل مبلغًا من المال مع ولي العهد قدره (٦,٠٠٠) روبية و(٤٠) بندقية[٢].

---

(١) محمد عبدالكريم عكاشة. التطور السياسي لحضرموت. من أعمال الندوة التاريخية. ص١٨٠.

(٢) انظر نص الوثيقة في الملحق (١).

وبهذه المعاهدة تمكنت السلطات الاستعمارية من فرض حمايتها على كل حضرموت، فبموجبها التزمت الدولة الكثيرية ضمنيًا بمعاهدة الحماية المبرمة بين القعيطيين والبريطانيين لعام ١٨٨٨م. وأعطت هذه المعاهدة الجديدة الحكومة البريطانية حق التدخل في حالة قيام أي خلاف بين السلطنتين، كما منحت هذه المعاهدة امتيازات واسعة للسلطنة القعيطية فقد نصت على موافقة الطرفين على أن تكون السلطنتان إقليمًا واحدًا تابعًا للسلطان القعيطي، كما يلاحظ أن المعاهدة حددت مناطق السلطنة الكثيرية لكنها لم تحدد مناطق السلطنة القعيطية لتترك المجال مفتوحًا للتوسع أمام القعيطيين.

التوسع القعيطي والانكماش الكثيري:

بدأت التوسعات القعيطية في حضرموت في عهد السلطان عوض بن عمر القعيطي المؤسس الفعلي للسلطنة القعيطية (١٨٦٥-١٩٠٨م) وكانت الصراعات بينه وبين سلاطين آل كثير على أشدها، وذلك في عقد الأحلاف وتوسيع مناطق النفوذ[١].

وقد مهدت اتفاقية عدن (١٩١٨م) الطريق أمام التوسعات وعقد الأحلاف مع القبائل، فكانت القبائل الحضرمية في السلطنتين تقوم على أساس نمطين: الأول تتعهد القبائل بتلبية نداء السلطان في أثناء الحرب وكانوا يقولون عن أنفسهم تبعة وسمعة، والنمط الثاني يقوم على أساس الصداقة وتبادل المنافع[٢].

وقد اتبعت السلطنة القعيطية في سياستها التوسعية أساليب التوسع العسكري المباشر والأسلوب غير المباشر عن طريق الأحلاف القبلية.

التوسع القعيطي في حجر وسياسة الأحلاف القبلية:

كانت أول علاقة للقعيطيين بمنطقة حجر تعود إلى عام ١٨٩٦م عندما تمكن

(١) صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. ص ١٩٩-٢٠٠.
(٢) محمد عبدالقادر بامطرف. الإقطاعيون كانوا هنا. دار الهمداني، عدن، ١٩٨٥م. ص٢١.

السلطان عوض بن عمر القعيطي من الاستيلاء على منطقة ميفع الساحلية وذلك بالشراء الصحيح من المشايخ آل بامزاحم[١].

وقد حاول السلطان عوض ابتداء من عام **١٩٠٢**م التوغل في مناطق حجر الداخلية ولكن جهوده لم تكلل بالنجاح وذلك للمقاومة العنيدة التي تلقتها قواته من قبل قبائل نوح شديدة الشكيمة[٢]، وأمام هذه المقاومة لجأ السلطان عوض إلى أسلوب الحرب الاقتصادية وذلك عن طريق حصارهم ومنعهم من دخول المناطق القعيطية، واستمر ذلك الحصار لمدة اثني عشر عامًا مما دفعهم في النهاية إلى طلب الصلح واللجوء إلى التحكيم لحل الخلاف بينهما، وقد ارتضى الطرفان تحكيم أحمد بن حسن العطاس، وحسين بن أحمد العطاس، وانتهى التحكيم لصالح القعيطي إذ تقرر أن يكون وادي حجر تحت نفوذ السلطنة القعيطية، مقابل منح قبائل نوح إعفاء خاصًا من جميع الرسوم[٣]، وبذلك تطلعت أنظار القعيطيين إلى مناطق حجر العليا واتبعوا في ذلك سياسة عقد الأحلاف والاتفاقيات القبلية، فقد تكمن وزير السلطنة حسين بن حامد المحضار، والمقدم عمر بن أحمد بن سعيد باصرة بوصفهما نائبين عن السلطنة القعيطية وقبيلة الغابرة المشجرية من عقد حلف عام **١٩٢٥**م وافقت بموجبه قبيلة الغابرة على حماية مناطق الأطراف، وعدم جعل أراضيهم ملاذًا لأعداء السلطنة، وكذلك وافقوا على أن تكون أراضيهم تحت تصرف السلطنة وقت حاجتها إليها[٤].

ويمكن أن نستخلص من وثيقة الحلف بين القعيطي وقبيلة الغابرة التي تعد نموذجًا لمعظم الاتفاقيات والأحلاف بين السلطنة القعيطية والقبائل الآتي:-

---

(١) علوي بن طاهر الحداد. الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها. مطبعة أحمد المعروف، سنغافورا، ١٣٩٥هـ/ ١٩٤٠م. ص ٧٣.
(٢) مجلة آفاق. العدد السادس، السنة الثالثة، فبراير ١٩٨٨م. ص ٣٠.
(٣) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٢٣١.
(٤) انظر نص الوثيقة في الملحق (٢).

١- ضمان ولاء هذه القبائل للسلطنة، وهذه خطوة تكتيكية لضم منطقتها في المستقبل والاستفادة من إمكاناتها الاقتصادية.

٢- وفرت للسلطنة القعيطية أموالاً كثيرة فيما لو حاولت ضم مناطق هذه القبائل بالقوة.

ومن نماذج الأحلاف التي ترتقي إلى مستوى التبعية الكاملة للسلطنة (تبعة وسمعة) الاتفاقية التي وقعها مقادمة قبائل بني ظنة مع الوزير حسين بن حامد المحضار ممثل السلطنة القعيطية وذلك في عام **١٣٣٩**هـ/ **١٩٢٠**م حيث تعهدت فيها قبائل بني ظنة بأنهم عيال الدولة، وأن أرضهم كلها جبالها ووديانها وسهلها ومعايينها ومعادنها أرض السلاطين غالب وعمر ابني السلطان عوض، ووافقوا بأن لا يعاهدوا أو يصالحوا أو يخاطبوا أي دولة إلا برضا الدولة القعيطية[١].

وما يميز هذه الوثيقة صيغة الولاء الكامل للسلطنة القعيطية كما أن لهذه الاتفاقية أهمية عسكرية واستراتيجية كبيرة، فهي تمثل اختراقًا قعيطيًا إلى عمق وخلف الدولة الكثيرية فمناطق قبائل بني ظنة تقع إلى الشرق والشمال الشرقي من أراضي الدولة الكثيرية، ومن ثَمَّ فهي تعمق بقاء الدولة الكثيرية كجيب صغير وسط وادي حضرموت وتزيد من الخناق عليها، بل تجعل من مدينة تريم ثاني أهم مدن السلطنة محاطة بقبائل موالية للقعيطيين، كما تفصح المعاهدة عن عداء كبير بين الدولة الكثيرية وقبائل بني ظنة وهذا العداء قديم ويرتبط بقيام الدولة الكثيرية على حساب الإمارات الظنية في تريم وما حولها.

كما حاولت السلطنة القعيطية تثبيت سيطرتها على الساحل الحضرمي الشرقي ولاقت في ذلك مصاعب كثيرة من قبائل الحموم كما سنوضح في الصفحات الآتية.

وفي الساحل الغربي اكتسبت أراضي الواحدي أهمية خاصة في حسابات

(١) انظر نص الوثيقة في الملحق (٣).

القعيطي التوسعية على ساحل بحر العرب جنوب غرب حضرموت، وقد ظهرت فيها بعض السلطنات من أشهرها ميفعة وبير علي وبلحاف[١].

ففي عام **١٩٠٤**م زار السلطنة القعيطية اثنان من أبناء السلاطين الواحديين وقابلا السلطان غالب بن عوض وعرضا عليه حصتهما في ميناء بلحاف بـ (٦٠,٠٠٠) ريال، وتم الاتفاق على أن يدفع لهما مرتبًا شهريًا بمعدل (٣٠) ريالاً فوافقا على ذلك، وعندما اشتكى سلطان بلحاف من التدخل القعيطي في بلاده طلب من بريطانيا أن تمنع السلطان القعيطي وتكفه عن التدخل في سلطنة بلحاف وإلغاء الاتفاقية مع الأميرين الواحديين[٢]. وهكذا انتهت الحدود الغربية للسلطنة القعيطية عند منطقة ميفع حجر.

أما السلطنة الكثيرية فكانت في موضع لا تحسد عليه فقد حددت اتفاقية عدن مناطق نفوذها دون أن تعطيها مجال التحرك في أي من الاتجاهات، وقد حافظت بريطانيا على بقاء الدولة الكثيرية تكريسًا لسياسة التجزئة التي اتبعوها في تلك الفترة، ولأن الكثيري أثبت إخلاصه للبريطانيين شأنه في ذلك شأن القعيطي وخاصةً بعد أن وقع اتفاقية الاستشارة **١٩٣٩**م[٣]. قام المستشار البريطاني (انجرامس) بضم منطقة ساه[٤] وماجاورها إلى السلطنة الكثيرية، ومنح هذه السلطنة حق إصدار جوازات خاصة برعاياها[٥].

---

(١) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٢٣٠.
(٢) حامد بن أبي بكر المحضار. المرجع السابق. ص ٦١.
(٣) محمود كامل المحامي. اليمن شماله وجنوبه. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م. ص ٢٦٠.
(٤) تقع ساه إلى الجنوب الشرقي من سيئون وكانت تابعة للسلطنة القعيطية منذ عام ١٩١٣م وفي عام ١٩١٨م طالبت السلطنة الكثيرية بالمنطقة وظهر نزاع بينهما ولكن حكم لصالح القعيطيين واستمرت تحت نفوذهم حتى عام ١٩٣٩م. صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. ص ٢٠٢، وانظر محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٢٢٨.
(٥) حامد أبوبكر المحضار. المرجع السابق. ص ١١٩.

٢- الحركات الإصلاحية في حضرموت:

كان وجود عدد من الإمارات والسلطنات والمشيخات في جنوب اليمن، والنظام الإمامي في الشمال أمرًا يتناقض مع حركة التاريخ، فالعلاقات المتشابكة والمصالح التجارية والعلاقات الأسرية ووحدة الأرض هي علاقات لا يمكن أن تنفصم عراها، أو تلغيها سياسة استعمارية أو رغبة حكام رضوا لأنفسهم التبعية والولاء للأجنبي[١].

وفي حضرموت كانت توجد - كما هو معروف - السلطنتان القعيطية والكثيرية اللتان شهدتا نزاعًا وصراعًا سياسيًا وعسكريًا امتد بشكل متقطع منذ النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

في ظروف مابعد الحرب العالمية الأولى حدثت في حضرموت متغيرات أهمها دخول الدولتين القعيطية والكثيرية تحت الحماية البريطانية، وحددت اتفاقية عدن ١٩١٨م أن حضرموت إقليم واحد تابع للسلطنة القعيطية، وبذلك أصبحت مصالح الدولة الكثيرية واتصالاتها مع البريطانيين تمر أولاً بالسلطنة القعيطية وأراضيها.

والمتغير الآخر هو تشديد الحصار على الدولة الكثيرية، فمعروف أن الساحل الحضرمي كله بيد القعيطيين كما أن السلطنة القعيطية تغلغلت إلى بطن وادي حضرموت وأطرافها بحيث التفت على معظم حدود السلطنة الكثيرية.

وخلق هذا الوضع ظروفًا سيئة بالنسبة لرعايا الدولة الكثيرية، فكان عليهم دفع ضرائب مزدوجة للقعيطيين والكثيريين، كما كانوا مرتبطين حتى عام ١٩٣٩م من الناحية الرسمية مع الدولة القعيطية خاصةً فيما يتعلق بجوازات السفر، لهذا ليس غريبًا أن تبعث فكرة الإصلاح الاجتماعي والوحدة الحضرمية بشكل مبكر من رعايا الدولة الكثيرية، ومن أمثلة الجهود الشعبية التي بذلت في إصلاح

(١) محمد عبدالكريم عكاشة. التطور السياسي في حضرموت. ص ١٨٠.

الأوضاع العامة في حضرموت، ظهور عدد من الجمعيات الاجتماعية من أهمهما جمعية الأخوة والمعاونة التي انبثق عنها لجنة وحدة حضرموت[١].

كما أن هجرة الحضارم خاصةً إلى جنوب شرق آسيا وجمعهم هناك ثروات طائلة دفع البعض منهم إلى التطلع نحو إيجاد إصلاحات اجتماعية وسياسية واقتصادية في وطنهم الأم[٢].

مساعي السلطنتين في تحقيق الإصلاح:

بدأت جهود الإصلاح الاجتماعي في حضرموت على الصعيد الحكومي من قبل السلطنة القعيطية منذ عام **١٣٤٦**هـ/ **١٩٢٨**م عندما كان السلطان صالح بن غالب القعيطي وليًا للعهد ونائبًا عن عمه السلطان عمر في إدارة شئون السلطنة[٣]، وقد جاءت هذه الجهود الحكومية بعد دعاوى الإصلاح الكثيرة التي نادت بها الجمعيات الاجتماعية لانتشال حضرموت من الأوضاع المتردية التي تشهدها[٤].

وقد دعا السلطان القعيطي السلاطين الكثيريين وأعيان آل كثير لعقد مؤتمر يتم فيه التشاور فيما يرونه مناسبًا لتحقيق الإصلاحات في حضرموت، فلبى السلطان الكثيري الدعوة وأرسل ولي عهده السلطان علي بن منصور بن غالب، والسلطان عبدالله بن محسن بن غالب، وعقد مؤتمر في الشحر أسفر عن معاهدة بين الحكومتين على إصلاح حضرموت، حررت في **٢٦** ربيع الثاني **١٣٤٦**هـ الموافق **٢٧** أغسطس **١٩٢٨**م، اتفق فيها المؤتمرون على الإصلاح وإقامة الأمن والعدل وتأسيس حامية عسكرية في حضرموت يتحمل تكاليفها السلطان القعيطي

(١) تمت الإشارة إلى هذه الجمعيات في الفصل الثالث من هذه الدراسة.
(٢) جعفر محمد السقاف. من تاريخ الحركات الشعبية الإصلاحية في حضرموت، الندوة التاريخية. ص ٢٥.
(٣) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٥٦.
(٤) جعفر محمد السقاف. من تاريخ الحركات الشعبية الإصلاحية في حضرموت. ص ٢٧.

كما اتفقوا على تأسيس جمعية وطنية من ساحل حضرموت وداخلها تكون عونًا للسلطنتين في تحقيق الإصلاح[١].

وبموجب هذه الاتفاقية تم إصدار بيان رسمي مشترك من السلطنتين إلى رعاياهما وضحا فيه الجهود التي تبذل في الإصلاح، وعرى الصداقة والتحالف الجديد الذي ظهر بين السلطنتين، كما حمل البيان، رغبات التمني في إقامة المملكة الحضرمية المتحدة[٢].

كما تقرر في مؤتمر الشحر إيفاد الشيخ الطيب الساسي[٣] إلى جاوا مندوبًا عن الحكومتين القعيطية والكثيرية، وذلك لدعوة الحضارم المهاجرين إلى الاشتراك في إصلاح حضرموت ولتشجيع الجهود التي تبذل في ذلك. وأذاعت كل من الحكومتين بلاغين رسميين مستقلين جاء في بلاغ السلطنة القعيطية تأكيد السلطان صالح لرغبته في الإصلاح ونيته نحو تحقيق الوحدة الحضرمية، ودعا المهاجرين الحضارم إلى المشاركة في الإصلاح التعليمي، واستثمار أموالهم داخل حضرموت، وذلك لانتشال الوطن من الحضيض إلى أوج الكمال على حد قول البيان[٤]. ولم يخرج البيان الرسمي الكثيري للمهاجرين في صيغته كثيرًا عن البيان القعيطي حيث ركز على شحذ الهمم نحو دعم الإصلاح، لأن الوطن - كما جاء في البيان - يتطلب رجال أعمال واجتهاد لا رجال أقوال وانتقاد[٥] وقد بدأ الناس يستبشرون بهذه التحركات وتفاعل الشعراء الشعبيون وأدلوا بدلوهم، ومن ذلك ما قاله الشاعر الشعبي سالم بن جعفر الكثيري الذي قال مؤيدًا لعقد المؤتمر:

---

(١) انظر نص الاتفاقية في وثائق الندوة العلمية التاريخية، كلية التربية، المكلا. ص٣٣-٣٤.
(٢) انظر نص البيان في: صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص٥٦-٥٧.
(٣) جاء الطيب الساسي إلى حضرموت فارًا من الحجاز بعد استيلاء آل سعود عليها عام ١٩٢٥م ونشط في العمل السياسي في عدن وسيئون والمكلا.
(٤) انظر نص البيان في: صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص٥٧-٦٠.
(٥) انظر نص البيان في: المرجع السابق ص٦٠-٦٢.

الـمـلـك يـصـلـح يـقـع[١] لـه مـؤتـمـر
يـحـضـره كـل مـن بـرأيـه يـسـتـفـيـد

مـن غـيـر تـفـريـق مـن بـيـن الـبـشـر
أهـل الـوطـن كـلـهـم مـحـد[٢] حـقـيـر

سـاداتـهـم والـقـبـائـل والـزمـر
وآل الـعـمـودي مـع آل بـاوزيـر

ويـنـتـخـب مـنـهـم كـم مـن نـفـر
والـفـصـل في الـحـكـم لـلـصـوت الـكـثـيـر[٣]

وفعلاً توجه الطيب الساسي للاتصال بالهيئات الحضرمية في جاوا وسنغافورا، ودعا إلى عقد مؤتمر في سنغافورا وقد حضر في هذا المؤتمر ممثلون عن بعض الهيئات الحضرمية في المهجر وبعض الشخصيات البارزة، وقاطعت بعض الهيئات الحضرمية هذا المؤتمر وتزعمت حركة المقاطعة جمعية الإصلاح والإرشاد التي اتهمت المندوب بالانحياز إلى الرابطة العلوية[٤].

وقد انعقد المؤتمر يوم الثلاثاء ٢٥ شوال ١٣٤٦هـ/ ١٧ فبراير ١٩٢٨م تحت رئاسة إبراهيم السقاف باعلوي، وكان معظم الأعضاء من مراتبية السادة وواصل المؤتمر جلساته إلى عشر ذي القعدة[٥]، وأسفر عن جملة من القرارات منها قرارات تتعلق بتحديد التعرفة الجمركية وكيفية دفعها، وتشكيل إدارة عامة للمعارف، وعمومًا لم تخرج قرارات المؤتمر كثيرًا عن اتفاقية الشحر[٦]،

(١) يقع: يكون.
(٢) محد: لا أحد.
(٣) حامد أبوبكر المحضار. المرجع السابق. ص ٦٩.
(٤) أحمد عوض باوزير. الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي في حضرموت، الندوة التاريخية. ص ٢٢.
(٥) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٦٢.
(٦) جعفر محمد السقاف. من تاريخ الحركات الشعبية الإصلاحية في حضرموت. ص ٢٩.

وشكك المعارضون لهذا المؤتمر في قراراته وأن الغرض منها الهيمنة على شئون الحكومة القعيطية، وأرسلت الجمعية اليافعية بجاوا تلغرافاتها إلى الحكومة القعيطية تحذرها من المؤتمر.

أما الشيخ الساسي فقد عاد إلى المكلا معتقدًا أنه سيلقى قبولاً حسنًا، ولكن عندما وصل إلى المكلا ألقي القبض عليه ثم نفي إلى خارج حضرموت، ثم نشر السلطان عمر القعيطي على إثر ذلك بلاغًا عامًا للحضارم في جريدة الأهرام بمصر بشأن نفي الساسي ورفض قرارات مؤتمر سنغافورا[١].

أسباب فشل مساعي الإصلاح:

لقد فشلت هذه الجهود لحركة الإصلاح وذلك لأسباب واعتبارات كثيرة منها أن لسلطان عمر القعيطي خاف أن تنسب هذه النجاحات إلى ولي عهده السلطان صالح غالب فقد كانت العلاقات بينهما سيئة. وقد حاول السلطان صالح الاستفراد بالحكم بعد وفاة أبيه مخالفًا بذلك وصية جده السلطان عوض، وربما رأى السلطان عمر في معاهدة الشحر وقرارات مؤتمر سنغافورا تنازلات قعيطية، فهو من القوة بحيث يمكن رفضها، كما أن شكوك السلطان عمر في الطيب الساسي ومراتبية السادة الذين أخرجوا قرارات مؤتمر سنغافورا كان عاملاً من عوامل فشل مساعي الإصلاح فقد جاء في بلاغ السلطان عمر المذكور أن المؤتمر استبعد ذوي العقول الراجحة من غير العلويين من المؤتمر، وهذا يعني أن السلطان عمر وإن لم تكن له ميول إرشادية واضحة، إلا أنه لم يكن راضيًا كل الرضا عن أداء السادة في حضرموت، رغم أنه احتفظ بوزيره السيد حسين بن حامد المحضار حتى وفاته عام **١٩٢٧**م رغم الخلافات التي كانت تظهر بينهما ثم عين ابنه أبابكر المحضار للسلطنة حتى إقالته واستقالته عام **١٩٣٤**م.

---

(١) انظر نص هذا البلاغ في: صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٦٣-٦٤.

أما ولي العهد السلطان صالح بن غالب القعيطي الذي اختلفت وجهة نظره مع عمه السلطان عمر، فكان مدفوعًا برغبة حقيقية نحو الإصلاح إلا أن الخطأ الكبير الذي وقع فيه هو موافقته على تفويض الطيب الساسي للتفاوض مع المهاجرين الحضارم فهذا الرجل ليس من حضرموت، ولم يكن ليعرف أو ليتفهم طبيعة الصراع والحساسيات بين العلويين والإرشاديين الحضارم في المهجر، كما أنه لم يحاول أن يظهر حياده بل أثبت العكس عندما نزل ضيفًا عند آل الكاف في سنغافورا فتأكد الشك نحوه وقاطعت الدوائر المناهضة للعلويين المؤتمر، وهكذا فإن أول معول في إفشال هذا المؤتمر وقراراته هو الطيب الساسي المفوض من قبل السلطنتين.

ويرى البعض أن من أسباب فشل حركة الإصلاح وإيجاد صيغة مقبولة للوحدة الحضرمية أن القائمين عليها يريدونها وحدة[١] شعبية، بينما السلطنتان تريدانها وحدة مفصلة على رغبتيهما المختلفة، وتجنبهما أي خلاف مع السلطات البريطانية، وعليه فإننا نعتقد أن أهم أسباب فشل مساعي الإصلاح يتمثل في عدم موافقة السلطات البريطانية في إحداث أي إصلاحات تتعارض مع مصالحها وتكون خارجة عن إرادتها. ويمكن أن نضيف إلى ذلك الدور السلبي لأثرياء الحضارم خاصةً في المهاجر حول حركة الإصلاح وقد علق على هذا الدور بنقد لاذع محمد لطفي جمعة وقال "..... وترى هؤلاء الأغنياء أنفسهم يصرخون بطلب النهضة والسعي إلى الخير والتعطش إلى العلم فهم يحبون العلم والتعليم مادام الأمر لا يقتضي خروج المال من جيوبهم ويحبون النهضة مادامت لا تمس خزائنهم ومادامت مقصورة على الكلام في المجالس"[٢].

وربما يكون من أبرز نتائج فشل هذه المساعي الإصلاحية التي دعا إليها

(١) محمود الشرقاوي. جنوب الجزيرة العربية. دار القاهرة للطباعة، القاهرة، ١٩٥٩م. ص٧٦.

(٢) محمد لطفي جمعة. حياة الشرف. دار إحياء الكتب العربية. ص ٣٦١.

السلطان صالح خلق قناعات عنده بالاعتماد في جهوده الإصلاحية المستقبلية على العناصر غير الحضرمية. وعلى العكس من ذلك سنرى أن الفترة المتبقية من حياة السلطان عمر كرسها في تحقيق بعض الإصلاحات المالية والإدارية معتمدًا على عناصر حضرمية، وبوفاة السلطان عمر عام **١٩٣٥**م، واعتلاء السلطان صالح الحكم تبدأ فترة جديدة في تاريخ السلطنة القعيطية إذ تحقق فيها بعض الإصلاحات الموجهة من قبل السلطات الاستعمارية والتي شملت السلطنة الكثيرية.

٣- الصراع العلوي الإرشادي في جزر الهند الشرقية:

البدايات الأولى للصراع:

توجد في الجزر الإندونيسية والملايوية بجنوب شرق آسيا جالية حضرمية كبيرة، هاجر معظم أفرادها من المناطق الداخلية لحضرموت في فترات تاريخية مختلفة، وفي ذلك المهجر النائي استطاعت مجموعة كبيرة من هؤلاء المهاجرين جمع ثروات كبيرة من خلال مزاولتها لأعمال التجارة(١).

وقد تشكلت هذه الجالية من معظم فئات ومراتبيات المجتمع الحضرمي خاصةً العلويين، والمشائخ، والقبائل، والقرار، وقد نقل الحضارم إلى مهاجرهم عاداتهم، وتقاليدهم، وعقائدهم.

وفي بداية القرن العشرين الميلادي اتصل جماعة من المثقفين بالمهجر وأغلبهم من العلويين بالصحف والمجلات العربية في مصر وسوريا وخاصة مجلة المنار للمصلح محمد رشيد رضا، وبتأثير الحركة الثقافية في مصر وسوريا بدأوا بتأسيس الجمعيات والمدارس والصحف وأخذوا يهاجمون التقاليد البالية والعادات السيئة بالوطن والمهاجر وبدع القبور والخرافات(٢).

---

(١) محمد سعيد داود. حركة بن عبدات في الغرفة بحضرموت. من أعمال الندوة التاريخية. ص٣٧.

(٢) علي أحمد باكثير. همام أو في بلاد الأحقاف. ص ١٤.

وأول الجمعيات التي أسسوها هي جمعية خير سنة **١٩٠٣**م في بتافيا بجاوا[١]، وتحت تأثير الحركة الوطنية التحررية بجنوب شرق آسيا[٢] وبتأثير الحركة الإصلاحية التي بدأها العلويون، بدأ أفراد من المراتبيات الأخرى يشعرون بثقل الامتيازات الاجتماعية الخاصة بالعلويين، والحاجة إلى النهوض والمساواة[٣].

وكانت الشرارة التي أشعلت فتيل الانقسام والتنازع بين المهاجرين الحضارم هي فتوى قالها الشيخ أحمد السوركتي[٤] عندما سئل عن صحة زواج العلوية من غير العلوي فأجاب بصحة النكاح فانتشرت هذه الفتوى في إندونيسيا وأغضبت العلويين، فقاموا بمهاجمة أحمد السوركتي وفصلوه من التعليم في مدرسة جمعية خير، فعمل الناشطون المنافسون للعلويين على تأسيس جمعية أطلقوا عليها اسم جمعية الإصلاح والإرشاد وذلك سنة **١٩١٤**م، وكان من أكبر القائمين عليها الشيخ عمر منقوش، والشيخ سعيد مشعبي، وأصبح أحمد السوركتي هو القائم بإدارة التعليم في مدرسة الإرشاد[٥]، ومن أبرز أهداف هذه الجمعية التي نادت بها الإصلاح الاجتماعي، والتحرر من الجهل، والعصبية، والشعوذة وتحقيق مبدأ المساواة بين جميع أفراد المجتمع على اختلاف أجناسهم[٦].

---

(١) أحمد عوض باوزير. شهداء القصر. ص ٤٦.
(٢) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٣٨.
(٣) علي أحمد باكثير. المرجع السابق. ص ١٥.
(٤) ولد الشيخ أحمد السوركتي في جزيرة اركو (ARGU) بالقرب من دنقلة، وذلك سنة ١٨٧٥م، تنقل في بعض المعاهد الدينية في السودان، وحفظ القرآن الكريم، ثم رحل إلى الحجاز لتلقي العلم، وفي سنة ١٩٩١م أتاه طلب من جمعية خير لإدارة التعليم في مدرستها وقد استقال منها عام ١٩١٤م.
ASUDANESE IN INDONESIA ANOTE ON AHMAS MUHAMMAD SURKITTI. P 68.
(٥) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٢٧٥.
(٦) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٣٨.

وبظهور جمعية الإصلاح والإرشاد، بدأ النفوذ الروحي للعلويين في التقلص وفي هذا الصدد كتب باكثير: "إن العلويين شعروا بأنهم أمام خطر يتهدد نفوذهم الروحي بحضرموت والمهجر فقاموا بكل ما أوتوا من قوة وحتى أولئك العلويون الذين كانوا رسل الحرية بالأمس ظهروا في صفوف إخوانهم المحافظين"[١]. فنجد الأديب أبابكر بن شهاب يسخر من فتوى أحمد السوركتي قائلاً:

قل لابن سنار بؤتا بالإثم فيما اقترفتا
أغلاط حمقك في صو رة الجواب أبنتا
أأنت بالفكر أفتيـ ت أم قرينك أفتى
ذات النبي وذات الزنـ ج سيان قلتا
أذات طه وعيسى ومريم وابن متى
وذات آل الرسول ال أطهار بيتًا ونبتا
كذات الأبناء سنا ر السود من قد علمتا[٢]

وعلى صعيد آخر أسس العلويون في مدينة بتافيا الرابطة العلوية وذلك في ٢٧ ديسمبر ١٩٢٨م، وحددت الرابطة لنفسها أهدافًا وهي السعي إلى كل ما يحصل به تقدم الشعب الحضرمي، أدبيًا، وماديًا، وتقوية روابط الإخاء بين العلويين خاصةً والحضرميين عمومًا، ومساعدة الأرامل والضعفاء، والقيام بضبط أنساب العلويين وحفظ كل ماله علاقة بهم، ونشر التعاليم الإسلامية واللغة العربية[٣].

(١) علي أحمد باكثير. المرجع السابق. ص ١٥.
(٢) حامد أبوبكر المحضار. المرجع السابق. ص ١٥٦.
(٣) علي أحمد السقاف. لمحات عن جمعية خير، دار الأيتام. الرابطة العلوية. ص ٤٧.

ومؤسسو هذه الرابطة هم:

السيد محمد بن عبدالرحمن بن شهاب	رئيس أول
السيد أبوبكر بن عبدالله العطاس	نائب رئيس أول
السيد عبدالله بن علي العيدروس	نائب رئيس ثاني
السيد أبوبكر بن محمد الحبشي	أمين صندوق أول
السيد عيدروس بن أحمد بن شهاب	أمين صندوق ثاني
السيد أحمد بن عبدالله السقاف	كاتب
السيد علوي بن محمد الحداد	مراقب
السيد علوي بن طاهر الحداد	مراقب
السيد عبدالله بن أبوبكر الحبشي	مراقب
الشيخ سالم بن أحمد باوزير	مراقب[1].

ونستنتج من خلال اسم الرابطة وأهدافها أو أسماء مؤسسيها، أنها قصرت عضويتها على العلويين والأفراد المؤيدين لها.

وكانت جمعية الإصلاح والإرشاد قد سلكت المسلك نفسه في رفض انضمام العلويين لهذه الجمعية خاصة تولي مناصب قيادية فيها فقد جاء في الفصل الخامس من القانون الأساس لجمعية الإصلاح والإرشاد: (... لا يجوز لأحد من آل باعلوي أن يكون عضوًا من أعضاء الرئاسة أو وكيلاً لها) ويذكر صلاح البكري، أن سبب منع العلويين عن رئاسة الإرشاد، هو: " أن العلويين كانوا يقولون عند بدء حركة الإرشاد أن الحضارم من غير العلويين لا يستطيعون

(١) علي أحمد السقاف: لمحات عن جمعية خير. ص ٤٨.

أن يقوموا بمشروع إن لم يكن قائدهم علويًا، فأراد الإرشاديون أن يبرهنوا بالمقدرة والكفاءة على العمل "[١].

وقد تفاقم الصراع بين العلويين والإرشاديين واتخذ مظاهر شتى منها شن الحملات الدعائية والإعلامية ضد بعضهم البعض، والتهم المتبادلة بالقيام بالوشايات والدسائس والمكائد[٢]. وكان العلويون هم الأنشط في الهجوم الدعائي، ومن أبرز التهم الموجهة للإرشاديين، أنهم وهابيون ونصارى، وأنهم يعملون ضد مصالح هولندا وإنجلترا والقعيطي والكثيري، وأنهم خوارج يبغضون أهل البيت[٣]، وبالمقابل انبرت جريدة الإرشاد للدفاع عن مبادئ الإرشاد ومهاجمة العلويين وقد تطور النزاع من شكله الدعائي النظري أحيانًا إلى أعمال التخريب المتبادل والاقتتال[٤]، ومثال ذلك ما حدث عام **١٩٣١**م عندما هاجم خمسون نفرًا من آل باعلوي مسلحين بمُدى وسكاكين خمسة أفراد من أنصار الإرشاد بعد قطعهم للتيار الكهربائي، وذلك في أحد مساجد بن ورسو بإندونيسيا[٥].

وقد تفاعل الشعراء الشعبيون مع هذه الأحداث المؤلمة وعبروا عن وجهات نظرهم المختلفة مع أقطاب الصراع، وهناك من نظر بأسف لما يجري من صراع مثل الشيخ صلاح بن أحمد القعيطي الذي نبه إلى خطورة الفتنة ودعا إلى المصالحة وقال[٦] :

أخبار بلغت منها نفس الكريم مكدرة
من نحو جاوة جاتنا في ضمن خط محررة

(١) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٢٠.
(٢) سقاف علي الكاف. المرجع السابق. ص ١٧١ (ضمن وثيقة إرشادية مكتوبة في الملاحق موجهة إلى وزارة الخارجية البريطانية).
(٣) هذا بيان للناس. وثيقة إرشادية بدون تاريخ. ص ٥.
(٤) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٣٩.
(٥) هذا بيان للناس. المرجع السابق. ص ٦.
(٦) سالم علي الجرو. حضرموت الإنسان والبصمة. ص ٦٢-٦٣.

أخوة تبيع أخوة بلا قيمة ولقوا مسعرة
يابيعة الخسران ماذا شرع ياهل الهوبرة

وفي قصيدة أخرى قال:

أخبار تبلغ من قداكم منها الجوف اشتعل
بين الحبايب والمشايخ والدول

ماهو سوى ياهل الوطن ماهو سوى ياهل الأمل
لا بارك الله للذي فيها سفح والاغزل

لقد بذلت مساع كثيرة لإنهاء هذا الخلاف والنزاع فقد أصدر كل من السلطان غالب بن عوض القعيطي، والسلطان علي بن منصور الكثيري بيانًا مشتركًا ناشدا فيه المهاجرين بإزالة الشقاق والكف عن المهاترات لكن دون جدوى[١]. كما حاول مفتي حضرموت السيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف التوسط لحل الخلاف وذلك في عام **١٩٢٧**م، وقد وضع قواعد للصلح تضمنت ثلاث نقاط هي:

١- ترك السباب والشتم من الآن، ويدخل فيها عدم الطعن في الأنساب.

٢- مذهب الحضارم المذهب الشافعي فإن اختلفوا في شيء فمرده إلى المعتمد منه.

٣- حقوق الإسلام مبذولة، وما مضى تحت الرجلين[٢].

ولكن جهوده لم يحالفها النجاح، كما بذلت جهود كبيرة من قبل شخصيات حضرمية وإسلامية ولكن كان نصيبها نصيب سابقتها، ويرى الدارس أن أسباب فشل جميع المساعي في أن الصراع والنزاع تحول من صراع عقائدي إلى أحقاد

(١) سقاف علي الكاف. المرجع السابق. ص ١٢٤.
(٢) المرجع نفسه. ص ١٢٥.

شخصية، كما أن الطرفين لم يبديا أية مرونة في تغيير مواقفهم وخاصةً العلويين، ونجد ذلك واضحًا فيما قاله المفكر الإسلامي السيد محمد رشيد رضا: "... وقد نصحنا لإخواننا العلويين الذين يظنون أنهم يحافظون على ما تبقى لهم من الجاه عند عوام المسلمين ويستردون ما فقدوا منه بالغلو في آبائهم وأجدادهم ونشر الخرافات والبدع التي ابتدعها غلاة الروافض وغيرهم، فهم مخطئون في هذا الضن وآثمون، ولو عرفوا حقيقة زمنهم لأيقنوا بأنهم بهذا الغلو والابتداع ما بقي لهم من ذلك، ومن عقلائهم أهل الخير فيهم من يعلم هذا علم اليقين، فعسى أن يكثروا ويكون لهم الرأي الراجح في هداية الغلاة المغرورين "[١]. وكيفما كانت خاتمة هذا الصراع فإن الشيء الجدير بالإشارة هنا الإيجابيات التي خلفها هذا الصراع والتي منها:

١- أخرج هذا النزاع الحضارم من تكتلاتهم القبلية والأسرية الضيقة إلى تكتلات أوسع في نطاق جمعيات يضبطها منهج ودستور.

٢- أوجد حركة ثقافية وإعلامية كان مجالها الأساس في الصحافة[٢].

٣- تنافس الفريقين في العمل على المشروعات الخيرية كإنشاء المدارس، والمستشفيات، ودور الأيتام، فأيقظت عند الحضرمي الروح الجماعية[٣].

مؤثرات هذا الصراع في حضرموت:

وبالنسبة لتأثيرات الصراع العلوي الإرشادي على حضرموت فنلاحظ أن الإرشاديين لم ينشئوا أية منظمة فعلية في حضرموت، ولكن اتجاهاتهم الفكرية شقت طريقها ببطء في المجتمع الحضرمي[٤]، وكان أهم مظاهر هذا الصراع في

(١) هذا بيان للناس. وثيقة إرشادية. ص ١٦.
(٢) سارجنت. حول مصادر التاريخ الحضرمي. ص ٨٧.
(٣) سقاف علي الكاف. المرجع السابق. ص ١٢٧.
(٤) Ingrams, Harold. Arabia and the Isles. 1966 Edition. London. p 47.

حضرموت تمثل في الآتي:

١- بناء عدد قليل من المدارس الأهلية ذات التوجيهات التي تتناسب وأفكارالمتنازعين[١]

٢- أوجد نوعًا من الحركة والجدل الثقافي، والشك في بعض الموروث الثقافي عند البعض من غير العلويين، وكان وعاء ذلك الصحف المحلية المكتوبة باليد.

٣- أثر هذا الصراع على مساعي الإصلاح في حضرموت، وسبق أن رأينا أن أهم أسباب فشل مؤتمر سنغافورا الإصلاحي هو اعتقاد الإرشاديين في انحياز الطيب الساسي إلى جانب العلويين، ومن ثم تبددت تحت وطأة هذا الصراع الكثير من الفرص لإصلاح الحال في حضرموت، وتنمية مواردها الطبيعية.

٤- محاولة الثري المهاجر عمر عبيد بن عبدات الاستفادة من هذا الصراع في حضرموت ليكون مبررًا أيديولوجيا يستقطب من خلاله المناوئين للسلطنتين القعيطية والكثيرية المدعومتين من العلويين، وأيضًا يستقطب الراغبين في إصلاح الأوضاع الاجتماعية المتخلفة السائدة في حضرموت لتحقيق أهدافه وطموحاته السياسية بعيدة المدى.

❁❁❁❁❁

(١) علي أحمد باكثير. المرجع السابق. ص ١٦.

ثانيًا: الصراعات الداخلية

١- الصراع القعيطي الحمومي:

يمثل الصراع القعيطي الحمومي أشهر الصراعات وأطولها التي شهدتها حضرموت، ومن أكبر التحديات التي واجهت سلطنة القعيطيين، ويمثل أيضًا جانبًا من جوانب الصراع السياسي على السلطة في حضرموت، فالقعيطيون وعصبتهم القبلية كسلطة كان ينظر إليهم من موقع العصبية القبلية الحضرمية بأنهم دخلاء على الواقع السياسي في حضرموت(١)

وزي(٢) الحموم أحد القبائل الحضرمية المعترف لها بالسيادة على رقعة جغرافية مرسومة الحدود ولها كيانها الاجتماعي الخاص وأعرافها وتقاليدها القبلية.

ويسكن الحموم في الجزء الشرقي الجنوبي لوادي حضرموت، وكانوا من أكبر قبائل البادية، وقدر عددهم في الثلاثينات بثلاثة آلاف نسمة(٣).

ارتكزت حياة الحموم الاقتصادية على مصادر موروثة تتمثل في الجبايات التي تفرضها القبيلة على أصحاب المزارع، وصيادي السمك، وتتمثل الموارد الأخرى في الزراعة، وتربية الماشية، ونقل الأفراد والبضائع بين مناطق حضرموت المختلفة(٤).

كانت العلاقات القعيطية الحمومية إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، تقوم

---

(١) سارجنت. المرجع السابق. ص ٨٧.

(٢) علي حسن علي، وعبدالرحمن عبدالكريم الملاحي. تاريخ الصراع الحمومي القعيطي ودوافعه، من أعمال الندوة التاريخية. كلية التربية بالمكلا. ص ٢٠٩.

(٣) الزي يعني اتحاد أو التقاء عدد من القبائل تحت قيادة زعيم واحد انظر:
Ingrams,Report. op. cit. p 24.
وصلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٢٠٩.

(٤) علي حسن علي، وعبدالرحمن الملاحي. المرجع السابق. ص ٢٥٣.

على أساس اعتراف الدولة القعيطية بحقوق الحموم التاريخية والموروثة في أراضيهم، أي حق فرض الإتاوات والضرائب التي تسمى محليًا الخفارة، والكيلة، والشراحة والجرف[١]، كما كانت للحموم جبارة في سدة الشحر، أي إعفاء جمركي فيما يملكه الفرد منهم، وتدفع لهم الدولة (٤٠٠) ريال ماريا تريزا كنوع من الترضية والمهادنة تجاههم، وبالمقابل يعترف الحموم بسلطة القعيطيين على الشحر وما حولها[٢].

ويرى الدارس أن هذا الموقف القعيطي تجاه الحموم اتسم بالحكمة والواقعية فكانت الدولة القعيطية لا تزال في مرحلة التأسيس وكانت دائمًا في حالة صراع وترقب مع الدولة الكثيرية، ولأن أراضي الحموم مفتوحة من الشمال، والشمال الغربي مع الدولة الكثيرية، رأوا أن فرض سلطة الدولة القعيطية بالقوة في أراضي الحموم في ذلك الحين ربما يسبب تحالفًا حموميًا كثيريًا يهدد حدود الدولة القعيطية الشرقية، أي أنها تجنبت فتح جبهة جديدة عليها هي في غنى عنها.

كانت اتفاقية عدن لعام ١٩١٨م نقطة تحول في السياسة القعيطية التوسعية فهذه المعاهدة حددت مناطق السلطنة الكثيرية، ولم تحدد مناطق السلطنة القعيطية لتترك بذلك المجال مفتوحًا أمام التوسع القعيطي في حضرموت كما ذكرنا، وكانت أراضي الحموم من الأراضي التي أرادت الدولة القعيطية أن تفرض عليها سلطانها يقول جاكوب: " وكان الهدف الرئيس منها - أي من

---

(١) يلاحظ أن القعيطيين عقدوا عام ١٨٨٢م معاهدة مع بني حسن والعكابرة، وذلك بعد عام واحد من سيطرتهم على المكلا، تحصلوا فيها على امتيازات كبيرة لعل أهمها تعهد بني حسن والعكابرة على الانقطاع الكامل لكل مالهم من حق قبلي من شراحة وكيلة ومجاديح وغيرها مقابل دفع الحكومة (٥٠٠) ريال سنويًا ولهم جبارة في سدة المكلا. انظر «وثائق السلطنة القعيطية، الهيئة العامة للآثار والمتاحف فرع حضرموت» رقم (٢٧) مؤرخة جمادى الأولى ١٢٩٩هـ، ورقم (٣٣) مؤرخة ٢٦ ربيع الأول ١٣٠٠هـ.

(٢) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٣٠.

معاهدة عدن - عزل رجال قبيلة الحموم المتوحشين المولعين بالخصام والقتال والذي ظل السير غالب القعيطي على اختلاف معهم طوال سنين عديدة"[١].

وأمام شعور القعيطيين بالقوة والتفرد في حضرموت حاولوا إخضاع تلك القبيلة بالقوة دون الأخذ بعين الاعتبار مكانة هذه القبيلة الكبيرة والتي تتميز مناطقها الشاسعة بين البر والبحر بالمنعة[٢]، والأهمية الاقتصادية التي تتمثل في سيطرتها على طرق القوافل التي تربط ساحل حضرموت بداخله.

وكانت بداية الخلاف عندما رفض السلطان غالب عام ١٩١٨م تجديد الصلح مع الحموم الذين طالبوا بأن يدفع لهم السلطان ما كانت تدفع لهم السلطنة القعيطية[٣]، ثم بدأ السلطان ينتهج سياسة معادية وواضحة ضد الحموم وذلك من خلال عدم الاعتراف بجباياتهم على مزارعه، وفرض عليهم الضرائب ومنعهم من دخول مدينة الشحر المحصنة، وذلك بهدف تجويعهم وإضعافهم، ولكنهم لم يتضرروا من ذلك كثيرًا، لأن مناطقهم مفتوحة من الشمال الغربي على مناطق آل كثير يبيعون أغنامهم وحاصلات مزارعهم، ومنتجات ألبان مواشيهم ومن الجنوب الشرقي ظلت مواصلاتهم مفتوحة إلى سيحوت يجلبون منها مؤنهم الغذائية وفي ذلك قال شاعر الحموم أحمد معلاق:

طرحوا لنا عنبر شوكي على السدة حسبونحا بانموت[٤]

لا تبند البندر عاد الخلاء معنا ما تبندت سيحوت

ومن جانبهم حاول الحموم رد فعل لهذه الإجراءات القعيطية، وذلك من خلال إعاقة حركة النقل التجاري حول مدينة الشحر، ومن ذلك ما قام به الحموم في عهد نائب الشحر ناصر بن أحمد بوبك من الهجوم على قافلة خارجة

(١) جاكوب. ملوك شبه الجزيرة العربية. ص ٤٠٦.
(٢) محمد عبدالقادر بافقيه. صحيفة الأيام. العدد (٩٩)، ٧ أكتوبر ١٩٩٢م. ص ٦.
(٣) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٣٠.
(٤) علي حسن علي، وعبدالرحمن الملاحي. المرجع السابق. ص ٢٣١.

من الشحر إلى غيل باوزير مكونة من ستين جملاً وأموالاً كثيرة[١]، ويرى الدارس أن هذه الإجراءات الحمومية على الرغم من أنها من الناحية الشرعية والأخلاقية لا يمكن تبريرها إلا أنه بمفهوم المصالح العامة للحموم هناك مايبررها وذلك للاعتبارات الآتية:

١- أن النهب الذي قام به الحموم لم يكن لغرض النهب المحض وإنما كان رد فعل لإجراءات السلطان غالب الاستفزازية ضدهم، وحفاظًا لماء وجوههم أمام القبائل الأخرى، وطبعًا الاستفادة من المنهوب لتلبية حاجاتهم.

٢- أن الحموم أرادوا بهذا الإجراء إحراج السلطنة أمام رعاياها الذين هم (شايم ولايم لها) أي - مشمولون بحمايتهم والدفاع عنهم - وهم بذلك أرادوا تشكيل وسيلة ضغط على السلطان غالب ليرجع عن قراراته ضدهم بمعنى آخر أراد الحموم أن يفرضوا حصارًا على الحصار.

مذبحة الحموم:

سارت الأمور بما لايتوقعه الحموم أو مايريدونه، فقد شرعت السلطنة في اتخاذ مواقف قوية ضد الحموم لكسر شوكتهم، وتضع حدًا لاعتداءاتهم المتكررة، ففي البداية اتصل نائب الشحر بالسادة آل الشيخ أبوبكر وآل العيدروس أصحاب التأثير الروحي على الحموم للتوسط في استرداد المنهوب فرفض الحموم، كما اتصل بالسلطان غالب بن عوض وأخبره بهذه التطورات، وقد أعطى السلطان غالب لنائبه حرية التصرف لما يراه مناسبًا[٢]. وفي رواية البكري ذكر أن السلطان اتفق مع نائبه على قتل رؤساء الحموم[٣] وكيفما كان القول فإن

(١) عبدالخالق البطاطي. االمرجع السابق. ص ٤٦.
(٢) المرجع نفسه. ص ٤٦.
(٣) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٣٠.

مذبحة الحموم عملية قام بها وخطط لها نائب القعيطي في الشحر، وتبدأ قصة التصفية لرؤساء الحموم عندما أوعز النائب ناصر بن أحمد بوبك إلى الوسطاء من آل العيدروس للتفاوض مع زعيم الحموم لإبرام اتفاقية جديدة تنهي حالة العداء القائم، وتسمح لجميع العشائر بدخول الشحر للتسوق، ومزاولة أعمالهم التقليدية، وأعلن هدنة مؤقتة (صلح عرضة) لحين إبرام صلح دائم فأقبلت جموع من أفراد قبيلة الحموم إلى الشحر، وفي صبيحة أحد أيام ربيع الثاني **١٣٣٧**هـ / مارس **١٩١٩**م، دخل الشحر زعيم التحالف الحمومي سالم بن حبريش مع عدد من رؤساء الحموم استجابة لوساطة آل العيدروس، فاستغل نائب الشحر هذه الفرصة وأمر جنوده بإغلاق سدة الشحر وإلقاء القبض على رؤساء الحموم وأتباعهم[١] وفي **٢٧** ربيع الثاني **١٣٣٧**هـ من السنة نفسها / مارس **١٩١٩**م تم إعدام سبعة وعشرين من رؤسائهم ومن بين هؤلاء سالم بن حبريش زعيم التحالف الحمومي، كما مات عدد من أفراد الحموم في السجون من الجوع والكمد[٢].

لاشك أن الدولة القعيطية ستبرر المذبحة، بأنها إجراء عادل ضد المجرمين وقطاع الطرق، ونجد ذلك واضحًا في المصادر التي عبرت عن وجهة نظر السلطنة القعيطية، خاصةً في كتابي عبدالخالق البطاطي، وصلاح البكري المذكورين، وسنستشهد هنا بوجهة نظر ثالثة، وتتمثل في قصيدة الشاعر الشعبي سالم بن سعيد باسباع وهو من المقربين للسلطنة القعيطية وقصيدته تُعَدُّ سجلاً لمذبحة الحموم من حيث ذكر أسبابها ووقائعها ونتائجها وتكمن أهمية هذا الشعر الشعبي بأنه مصدر مهم مصور للواقع في حينه، وسجل حافظ لبعض العادات والتقاليد ومعجم لكثير من الكلمات الدارجة، ومما قاله باسباع مادحًا للنائب القعيطي ومستشفيًا في الحموم[٣]:

---

(١) علي حسن علي، وعبدالرحمن الملاحي. المرجع السابق. ص ٢٣١.
(٢) عبدالخالق البطاطي. المرجع السابق. ص ٤٦.
(٣) علي حسن علي، وعبدالرحمن الملاحي. المرجع السابق. ص ٢٣٢.

ذا فصل والثاني ضوانا هاجسي يلقي زعل
والـلـيـل عـبـرتـه فِـكِّـرْ عـا دوِّر الـفـكـور[١]

كـلـمـة مـن الـدولـة خـلـت كـل شـاجـع ارتـقـل
واليوم يرجع شهر في العزبة وأيام المخور[٢]

دار الفلك قال السباعي عا خبيثين العمل
واستكبروا ولعاد حسبوا الوقت عاده بايدور[٣]

خسف بهم ربك وخلى الفال فيهم يذل
وتعكت البسطاه في الموجح وقطبوها نذور[٤]

حـبـريـش لـي قـد تـاه وحـمـيـد والـحـول
ما داموا العزة ولا صانوا خوتهم والزقور[٥]

سبعه عشرون لي سقطوا وشلوهم وصل
والمحبسه تطبل وعاد الطست باقي عا يفور[٦]

وين الذي كانوا يفعلون المناكر والحيل
في قبر واحد رصهم والقبر زايد عا القبور

وين الذي كانوا كساهم من حطيطات الذبل
وين الذي كانوا جبارى ما يمدون العشور[٧]

---

(١) ذا فصل والثاني: مبدأ القول، ضوانا: الفعل من ضوى أي أتى ليلاً، هاجسي: الهاجس الرغبة في قول الشعر.
(٢) ارتقل: ارتجف، العزبة: عواصف البحر أيام المخور: أيام سفر السفينة عكس اتجاه الريح.
(٣) خبيثين العمل: يقصد الحموم.
(٤) الفال: الشجاع. تعكت البسطاه أي تعقدت، والبسطاة مقدار الغزل المعد منظمًا للنسيج. الموجح: دفعة النسيج في آلته.
(٥) حبريش وحميد والحول: من زعماء الحموم الزقور: الصبيان.
(٦) هنا تصوير لبشاعة المذبحة.
(٧) حطيطات الذبل: أرديتهم المصنوعة بالنيلة ذات الأطراف، جبارى: معفيون من الضرائب.

لقد جرت هذه المذبحة دون علم وزير السلطنة القعيطية حسين بن حامد المحضار الذي أظهر معارضة كبيرة تجاهها، وأول عمل قام به بعد وصوله الشحر هو إزالة معالم القبر الجماعي لقتلى الحموم[١]، وقال قصيدته المشهورة التي مطلعها:

ياشحرنا قال بوطالب وراش مانتي على العادة[٢]
لكن سبايبش من غالب ومن عساكرش والسادة[٣]

وربما جاء موقف الوزير المخالف لموقف السلطان ونائب الشحر من أن الوزير كان كثيرًا ما يعول على حل الخلافات عن طريق المفاوضات والمرونة السياسية، وله في ذلك صولات وجولات، ومن جانب آخر شعر بأن حدوث هذا الإجراء المهم بالنسبة للسلطنة دون علمه وكأنه انتقاص في حقه كوزير رسمي للسلطنة وحاكم فعلي لها.

رد الفعل الحمومي تجاه المذبحة:

توقع القعيطي أن رد فعل حمومي سريعًا تجاه هذه المذبحة سيحدث، فاستعدوا بتعزيز حامياتهم العسكرية في الشحر والموانئ الشرقية، ومن جانب آخر حاول وزير السلطنة القعيطية حسين المحضار تهدئة الأوضاع باتباع سياسة الاسترضاء تجاه الحموم، وذلك بالاعتراف بحق الحموم في الجبايات والإتاوات التي كانوا يفرضونها[٤].

أما الحموم فقد كان وقع المذبحة عليهم كبيرًا، ووضعتهم في خيارات كلها صعبة، فعدم الرد يعني العار ونزول مكانتهم الاجتماعية في المجتمع، والرد

(١) عبدالخالق البطاطي. المرجع السابق. ص ٤٩.
(٢) بوطالب كنية الوزير المحضار، وراش: ماذا جرى لك.
(٣) سبايبش: من السبب، ويلاحظ في اللهجة الحضرمية الدارجة استخدام حرف الشين كاف الخطاب للمؤنثة.
(٤) علي حسن علي، وعبدالرحمن الملاحي. المرجع السابق. ص ٢٣٦.

السريع في ظل الظروف الأخيرة لا يتسم بالحكمة وربما يضر أكثر مما ينفع، وهذا رأي رئيسهم الجديد علي بن سالم بن حبريش الذي وعد رجال قبيلته بأن الرد قادم لا محالة ولكن في الوقت الذي يراه مناسبًا، وعندما يمكن أن يكون له جدوى.

وقد تصدى الشعراء الشعبيون المؤيدون للحموم لهذا الموقف فمنهم من يحث على سرعة التحرك ومنهم من يعذر الحموم على التمهل في الرد.

فيقول الشاعر أحمد بن محمد بكير في عتاب رقيق لموقف الحموم الذي اتسم بالحيطة والتريث مع دعوة صريحة للتحريض على الانتقام والأخذ بالثأر:

سمعت شي في الديس كالعادة زجل وإلا رجز
من بعد ما قبضوا كبير الرأس مصموم النياب

ويرد عليه الشاعر فرج بلسود[١] فاطنًا الغمز الذي تحمله أبياته ويقول:

الوقت ما غلق تريض لا تهز الحيد هز[٢]
وقع ولد صمصوم خليك الشطانه والعتاب[٣]

اتسمت فترة السبع سنوات التي أعقبت المذبحة (**١٩١٩-١٩٢٥م**) بسنوات الهدوء وضبط النفس بالنسبة للحموم والانتظار والترقب عند القعيطيين، ففي هذه الفترة لم يقم الحموم بأي عمل عنيف ضد الدولة القعيطية وحلفائها.

في عام **١٩٢٥م** عمل زعيم الحموم علي بن سالم بن حبريش على استغلال فرصة انشغال الدولة القعيطية بتمرد بعض قبائل الديّن بقيادة محمد بن عمر باعقيل[٤]، فهاجم الديس مع (**٣٥٠**) من رجاله وحاصروها أيامًا حتى دخلوها.

---

(١) أحمد عوض باوزير. الشعر الوطني العامي. مؤسسة الطباعة والنشر، عدن، ١٩٧٨م. ص ١٤.

(٢) الوقت ما غلق: أي لم ينتهِ الوقت.

(٣) وقع ولد: أي كن ولد. صمصوم: هادئ.

(٤) حول شخصية محمد بن عمر باعقيل. انظر نظام الحكم في سلطنتي حضرموت من هذا الفصل.

وإذا كان اختيار الحموم لوقت الهجوم مناسبًا فإن اختيار مكان الهجوم أيضًا مناسب وذلك للأسباب الآتية:

١- بعد الديس الشرقية عن المكلا عاصمة السلطنة وقربها من أراضي الحموم.

٢- كان بالديس نسبة قليلة من الجنود اليافعيين احتياطيين وعاملين وهؤلاء هم المقصود بالانتقام منهم[١].

وقد انسحب الحموم من الديس بعد أن أسروا تسعة وعشرين من رجال يافع كنوع من الانتقام على المذبحة ولتعزيز مكانة الحموم القبلية والاجتماعية بعد أن اتهموا بالجبن والعجز[٢]. أما صلاح البكري فيصور الانسحاب الحمومي وكأنه هروب من مواجهة التعزيزات العسكرية القعيطية القادمة من الشحر والمكلا[٣]. ويرى الدارس أن هدف الحموم من الهجوم على الديس الشرقية بغرض الانتقام وليس الاحتلال أو البقاء في الديس، وأن التعزيزات العسكرية القعيطية عجلت بخروج الحموم من الديس، ونركن لهذا الرأي للأسباب الآتية:

١- أن الحموم كانوا أولاً في حاجة فعلاً إلى عمل هجومي محدود يضمن لهم النجاح ويعيد ثقتهم بأنفسهم دون الدخول في مغامرة لا تحمد عقباها.

٢- أن زعيم الحموم علي بن سالم بن حبريش أراد أن يحقق لقبيلته وعده بالانتقام، فالهجوم الخاطف يضمن إلى درجة كبيرة ذلك، ومن ثم تعزيز لزعامته عند قبيلته.

٣- أن الهجوم على المدن واحتلالها يحتاج إلى استعدادات من نوع خاص

(١) علي حسن علي، وعبدالرحمن الملاحي. المرجع السابق. ص ٢٤٠.
(٢) المرجع نفسه. ص ٢٤٢.
(٣) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٤٨.

أهمها تأمين خط الإمداد من المؤن والرجال، وتوقع حرب شاملة وبالنظر إلى محدودية المكان المهاجم والرجال المهاجمين من الحموم يتضح أن الحموم غير مستعدين لمثل هذه الحرب.

ومرة أخرى يتصدى الشعراء الشعبيون لهذه التطورات فيقلل الشاعر الشعبي ناصر جابر الموالي للقعيطيين من الهجوم الحمومي ويسخر من انسحاب الحموم من الديس وقال:

أنا الفرض والبنادر بيدي تصابحنا الفلوك الكبيرة
ولي مراسي وطالع ونازل مانا كما لي على الرجل جمال

وراك ماجلست في القرن ساعة يابو الحزومة القصيرة
ولقيت زاعق وناعق وجلست في القرن الشاجع الفال

أما الشاعر محفوظ بن عبدالرحمن العطيشي المناصر للحموم فيذكر الشاعر ناصر جابر بالأسرى من يافع الذين اقتادهم إلى المقد ويرمز إليهم بالنّشر أي الحيوانات ويقول:

معي نشر خذتهم حوشن بي في القرن ماشي خضيره[١]
عدد ثلاثين ينقص واحد وطلعت بهن في المقد حيث ماكنت حال

أنت وحقك وفعلك ولكنك إنسان مافيك غيره
بعت في بضاعتك جندك بلا شاهد ولا دلّال[٢]

وقد استمر الحموم في أعمالهم التحرشية على السلطنة القعيطية ومصالحها وما يرونه يزعزع كيانها وقد حاول الوزير حسين بن حامد المحضار كبح جماح الحموم وتضييق الخناق عليهم بعد أن أشيع عنهم إنهم يبيعون المنهوبات في سوق سيئون وأن الدولة الكثيرية تؤيدهم في الخفاء، فاستدعى إليه رؤساء آل كثير

(١) حوشن بي: أصابتني بالضجر.
(٢) أحمد عوض باوزير. الشعر الوطني العامي. ص ١٤-١٥.

وآل تميم وطلب منهم مقاطعة الحموم ولكن جهوده لم تنجح خاصةً بعد أن طلب منهم رهائن لإثبات ولائهم للعهد[١].

وفي محرم ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م غار بعض أفراد قبيلة الحموم على نخل في الديس الشرقية فجرت معركة بين القوات القعيطية والحموم انتهت بسقوط عدد من القتلى والجرحى من الجانبين.

التدخل البريطاني في هذا الصراع:

ظلت الأوضاع في حالة شد وجذب بين السلطنة القعيطية وقبائل الحموم حتى منتصف الثلاثينيات بعد تولي السلطان صالح بن غالب الحكم وما أعقب ذلك من تدخل بريطاني مباشر في شئون حضرموت، وهو ما كان يعرف بسياسة التقدم إلى الأمام التي بدأت في حضرموت بعد إرسال البريطانيين أحد ساستهم ويدعى (انجرامس) لدراسة المنطقة وكتابة تقرير مفصل عنها، وفعلاً قام (انجرامس) بهذه المهمة، ورأى أفضل الوسائل لحفظ الأمن ومن ثَمَّ تأمين المصالح البريطانية هو إعلان هدنة عامة[٢] بين القبائل لمدة ثلاث سنوات ١٩٣٦م-١٩٣٩م وبعد أن وقّعت معظم القبائل على هدنة السلام العامة بدأت الدولة القعيطية تشجع على نقل البضائع على السيارات إلى وادي حضرموت، وهذا يتناقض مع موافقة الحموم لمرور طريق السيارات في أراضيهم الذي كان مشروطًا بنقل المسافرين فقط دون البضائع لأن ذلك يهدد مصدرًا مهمًا من مصادر رزقهم، فعمدوا إلى تخريب الطريق ونهب حمولة خمس سيارات، كما قتل نائب السلطان على مدينة غيل باوزير ومرافق له كانا يستقلان سيارة في طريقهما من الشحر إلى المكلا وذلك في عام ١٩٣٧م[٣].

لقد وضعت هذه الأعمال هدنة السلام التي أخرجها (انجرامس) في اختيار

(١) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٧٧.
(٢) سيتم تناول هدنة السلام في هذا الفصل.
(٣) علي حسن علي، وعبدالرحمن الملاحي. المرجع السابق. ص ٢٤٢.

صعب، ورأى (انجرامس) فيها تقويضًا لمساعيه في تثبيت الوجود البريطاني في حضرموت وتهديدًا لمستقبله السياسي الشخصي، ويؤكد ذلك الأعمال الوحشية والقوية التي قام بها (انجرامس) بمساعدة سلاح الطيران الملكي البريطاني من قصف قرى الحموم[١] وخاصة قرى المعدي ونسيم معقل بن حبريش، وهدد البريطانيون بمواصلة القصف حتى يتم تسليم الأفراد الذين قاموا بعمليات النهب مع الأشياء المنهوبة. كما وزع البريطانيون منشورًا إلى كل القبائل في حضرموت هددوا فيه بعقاب مماثل لكل من يعمل على الإخلال بالأمن[٢]. وبالنسبة للحموم فقد وافقوا على الاستسلام ويقول شاهد عيان يوم الاستسلام ما يأتي "... والحاصل أن الإنجليز شدد عليهم وخوفهم فاستسلموا لحكمه، وحكم عليهم أن يأتوا بالذين نهبوا وكسروا الصرك (الطريق) وما نهبوه فامتثلوا وأتوا بالمجرمين إلى الشحر ومعهم الأشياء التي نهبوها فأقيمت لهم حفلة كبيرة أمام الحصن فحضرها الإنجليزي (انجرامس) والضباط الأردنيون والجنود والعبيد ونائب الشحر وجمع غفير من الأهالي، وكان ذلك بعد العصر في شهر ذي الحجة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م فحكم (انجرامس) على البدو المجرمين أن يحملوا ما نهبوه على ظهورهم ويطوفوا به وسط الحفلة والناس كلهم ينظرون إليهم ويتفرجون عليهم وكانت الطائرات الست تحلق في الجو وتقوم بألعاب ممتعة للناظرين طوال العشية إلى قريب المغرب، والبدو يعانون بين الملأ على مشهد من هذا الجمع الكبير وأطلق سراحهم فذهبوا مع أصحابهم إلى رؤسائهم أذلة ما قد شهدوا إهانة مثلها قط"[٣].

لاشك أن (انجرامس) تعمد هذه المبالغة في إهانة الحموم وإذلالهم بهذه الصورة المسرحية، وذلك لكسر شوكتهم خصوصًا أن لهم تاريخًا طويلاً في التمرد على السلطنة القعيطية، وكذلك لجعلهم عبرة للقبائل الأخرى، وإظهار

(١) Ingrams. Arabia and isles. op. cit. P. 44.
(٢) علي حسن علي، وعبدالرحمن الملاحي. المرجع السابق. ص ٢٤٤.
(٣) أحمد عبدالقادر الملاحي. المرجع السابق. ص ٣٥-٣٦.

جدية السلطات البريطانية في المحافظة على الأمن وهدنة السلام العامة التي أعلنوها.

ولكن هذه الإجراءات البريطانية لم تكن نهاية المطاف في الصراع القعيطي الحمومي الذي دخلت فيه عناصر جديدة تتمثل في السلطات الاستعمارية وكان رد الفعل الحمومي هو الاستمرار في التصيد بين القرى القريبة من الشحر والتعرض للسيارات ومهاجمتها(١).

ويرى الدارس أن هذه الأعمال الحمومية جاءت ليؤكد الحموم على وجودهم وفاعليتهم في المنطقة خاصةً بعد الإهانة الأخيرة التي لحقت بهم، لأن أساليب العقاب المذلة لا يمكن أن تكون أسبابًا حاسمة لإنهاء حالة أي صراع أو نزاع بل غالبًا ما تكون النتيجة عكسية.

وإمعانًا في إضعاف الحموم وتثبيت سلطة الدولة القعيطية في أراضيها، تقدم إليهم المستشار البريطاني (انجرامس) على رأس قوة قعيطية كبيرة مزودة بالمدفعية إلى غيل بن يمين ودارت بين الجانبين معركة عنيفة استبسل فيها الحموم وحاولوا الدفاع عن قلعتهم الحصينة ورمز من رموز سيادتهم على مناطقهم ولكن المعركة انتهت بهزيمة الحموم ودخلت القوات القعيطية غيل بن يمين في **١٥** نوفمبر **١٩٣٩**م(٢).

وفي هذه الأثناء كان البريطانيون يعملون الترتيبات الأولية لتأسيس جيش البادية الحضرمي وشرعوا في بناء مركز لهذا الجيش في غيل بن يمين، وقد حاول الحموم عرقلة ذلك من خلال القيام بنصب كمائن ضد التحركات القعيطية الموجهة من المستشار البريطاني في منطقتي حرو وبلس(٣).

---

(١) علي حسن علي، وعبدالرحمن الملاحي. المرجع السابق. ص ٢٤٥.

(٢) صلاح البكري. حضرموت وعدن. ص ١٦٧.

(٣) حرو: سهل منبسط يقع إلى الشرق من جول رسب يمر به المسافر إلى غيل بن يمين. وبلس: مضيق يقع إلى الشمال الغربي من الشحر على بعد (١٥) ميلاً منها.

وفي ١٩ سبتمر ١٩٤٠م أصدرت السلطنة القعيطية بيانًا أعلنت فيه مقاطعتها للحموم وملاحقتهم في أي موضع يحلون فيه، وفي اليوم التالي ٢٠ سبتمبر ١٩٤٠م عقدت السلطنة القعيطية صلحًا مع الحموم اعترفت فيه بحقوق الحموم التاريخية الموروثة باستثناء ضريبة على الأغنام الداخلة مدينة الشحر(١).

ويدل هذا التغيير المفاجئ في القرارات القعيطية تجاه الحموم على تخبط السياسة القعيطية، وربما أراد السلطان صالح العودة إلى أساليب المهادنة بعد أن فشلت أساليب الحصار السابقة. وكيفما كان القول فإن الهجوم على منطقتي حرو وبلس كان آخر الهجمات الحمومية المباشرة ضد السلطنة القعيطية ومصالحها، ويمكن حصر أسباب تقلص الصراع القعيطي الحمومي في الآتي:

١- وفاة زعيم الحموم علي بن سالم بن حبريش في إبريل عام ١٩٤٠م(٢) بعد أن قاد زي الحموم في الفترة من عام (١٩١٩-١٩٤٠م) وبوفاته فقد الحموم شخصية قوية أسهمت في المحافظة على تثبيت عرى التحالف الحمومي في ظروف بالغة الصعوبة، ولم يكن خلفاؤه بالكفاءة نفسها وبدأت وحدة الحموم بعده في التفسخ(٣).

٢- سياسية المهادنة التي اتبعتها السلطنة القعيطية إزاء الحموم والسماح لهم بنقل البضائع على إبلهم، أسهمت في تقويض حدة الصراع، وربما الحموم أنفسهم سئموا القتال المباشر مع السلطنة.

٣- هدنة السلام العامة التي أعلن عن مدها لعشر سنوات (١٩٤٠-١٩٥٠م) دفعت بعدد من الحموم إلى الهجرة إلى الخارج لطلب الرزق أو الاستقرار على ضواحي المدن.

---

(١) علي حسن علي، وعبدالرحمن الملاحي. المرجع السابق. ص ٢٤٨.
(٢) فتاة الجزيرة. العدد (١٦)، السنة الأولى، ٢٨ إبريل ١٩٤٠م. ص ٨.
(٣) علي حسن علي، وعبدالرحمن الملاحي. المرجع السابق. ص ٢٥٠.

٤- ظروف الحرب العالمية الثانية وما أفرزته من مجاعة في حضرموت.

٥- جهود السلطنة القعيطية في توطين الحموم وتشجيعهم على الاستقرار واستصلاح أراضيهم ومزارعهم، ومدهم بالقروض لدعم ذلك[١] كما أن الحموم لم يعترضوا على فتح مدارس حكومية في مناطقهم، وقبل عدد منهم كجنود في جيش البادية الحضرمي[٢]، وأرسل البعض منهم أولادهم للتعلُّم في مدرسة أبناء البادية، ولاشك أن هذه الإجراءات ستساعد على امتصاص نقمة الحموم وانتفاضاتهم ضد الدولة القعيطية إضافة إلى ذلك ستزيد من ثقتهم بالدولة وأهميتها في حياتهم.

٦- رغم أن السلطنة القعيطية سمحت للحموم بنقل البضائع على إبلهم[٣] إلا أنه منذ حوالىٰ عام ١٩٤٠م ظهر متغير جديد وهو شق طريق آخر يسمى الطريق القبلية ويمر هذا الطريق خارجًا وبعيدًا عن أراضي الحموم، ومن ثم ربما أدرك الحموم أن أساليب الضغط عن طريق قطع الطريق الموصل إلى الداخل قد لاتكون مجدية وبالتالي مصالحهم الجديدة تكون في تفهم هذه المتغيرات طالما أنها لا تمس شعورهم بالسيادة على أراضيهم.

٧- أن قسمًا من الحموم فضل محاربة الدولة القعيطية بطريقة غير مباشرة وبأجر معين وذلك عن طريق مساعدتهم للثائر بن عبدات في الغرفة، وفائدتهم في ذلك مزدوجة فمن جهة يتحصلون على الأسلحة والذخائر والمال، ومن جهة أخرى ستكون هذه الجبهة متنفسًا لرغبتهم القوية في الانتقام من القعيطيين المتحالفين مع البريطانيين.

---

(١) علي حسن علي، وعبدالرحمن الملاحي. المرجع السابق. ص ٢٥٠.
(٢) حول جيش البادية الحضرمي انظر السياسية البريطانية في حضرموت في هذا الفصل.
(٣) فتاة الجزيرة. العدد (٤١). السنة الأولى، ٦ أكتوبر ١٩٤٠م. ص ٦.

٢- حركة بن عبدات في مدينة الغرفة وموقف السلطنتين القعيطية والكثيرية والسلطات البريطانية منها:

تعد حركة عمر عبيد بن عبدات في مدينة الغرفة جزءًا لا يتجزأ من الصراع العشائري القبلي في حضرموت التي لم تشهد في تاريخها دولة قوية ذات سلطة مركزية إلا بعد سقوط السلطنتين القعيطية والكثيرية.[١] كان نفوذ سلطنتي حضرموت محصورًا في مدن ومناطق معينة، وظلت معظم العشائر والقبائل رغم تبعيتها لإحدى السلطنتين تمارس نفوذها وسياستها على أراضيها حسب عاداتها وتقاليدها، وكلما كانت مناطق القبائل بعيدة عن مراكز السلطنتين زادت استقلاليتها.

وقد حددت اتفاقية عدن **١٩١٨**م في بندها الثاني، مدينة الغرفة من ضمن مناطق نفوذ السلطنة الكثيرية، كما حددت تبعية القبائل الشنفرية وأراضيها لهذه السلطنة ومن ضمنها قبيلة آل عمر وآل عامر.

تقع مدينة الغرفة في وسط وادي حضرموت على بعد (١٠) كيلومترًا إلى الغرب من سيئون على الطريق الرئيس الذي يربط شبام بسيئون[٢] وكانت الغرفة منذ القرن الثامن الهجري تخضع للنفوذ الروحي للمشايخ آل باعباد، وكان لهم دور كبير في فض الخلافات والنزاعات التي تنشب بين السكان وعندما تقلص نفوذهم الروحي قامت بدورهم أسرة السيد أحمد بن زين الحبشي العلوية[٣].

وكانت الأوضاع الأمنية في المدينة متدهورة وأحيانًا تكون مسرحًا لتصفية الصراعات بين القبائل، ويدفع ثمن هذه الفوضى سكان مدينة الغرفة[٤].

وقبل الحديث عن حركة بن عبدات لابد من الإشارة إلى الحقائق الآتية:-

---

(١) محمد عبدالقادر بامطرف. في سبيل الحكم. ص ١١.
(٢) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٤٧.
(٣) محمد عبدالقادر بامطرف. الإقطاعيون كانوا هنا. ص ٢٨.
(٤) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٥٠.

١- أنه من قبيلة آل عمر الشنفرية ظهرت أسرة آل خالد بن عمر وبخاصة الثري صالح عبيد، وأخوه عمر عبيد بن عبدات، وعبيد بن صالح بن عبدات، وكان صالح بن عبدات من الزعماء الإرشاديين البارزين في الصراع العلوي الإرشادي في إندونيسيا.

٢- أن حركة بن عبدات لا تعد جزءًا من الصراع العلوي الإرشادي بين المهاجرين الحضارم في جنوب شرق آسيا، وإن كان هذا الصراع ألقى بظلاله على هذه الحركة من خلال محاولة بن عبدات الاستفادة منه لكسب رأي المعارضين لسلطة العلويين الروحية والسياسية في حضرموت فالدارس يعد الصراع العلوي الإرشادي في إندونيسيا سابقًا لعصره في حضرموت.

احتلال بن عبدات للغرفة:

قام عمر عبيد بن عبدات الكثيري المدعوم من أخيه الثري صالح عبيد بالاستيلاء على مدينة الغرفة عام **١٩٢٤م**[(١)]، وأخذ يخطط من أجل تأسيس نظام حكم جديد له، تكون الغرفة نواته، كما جاء احتلاله للغرفة كجزء من صراع الفخائذ الشنفرية حول الغرفة والمناطق القريبة منها[(٢)].

حصّن بن عبدات مدينة الغرفة وبنى حولها سورًا وعددًا من الدور كما عمل على كسب ولاء قبائل الحموم المعادين للسلطنة القعيطية[(٣)]. وتثبيتًا لهذا الحكم الوليد عمل بن عبدات على القضاء على الظلم الذي كان سائدًا في مدينة الغرفة،

(١) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٤٧.
(٢) سلطان ناجي. التاريخ العسكري لليمن. ص ١٤٥.
(٣) تقرير حول العمليات التي جرت خلال فبراير - مارس ١٩٤٥م ضد الشيخ عبيد صالح بن عبدات في الغرفة بحضرموت، القيادة العامة للقوات البريطانية بعدن، قام بترجمته من مكتب الوثائق، عبدالعزيزعلي القعيطي، ١٩٨٧م. ص ٣.

وحاول أن يساوي بين جميع المراتبيات في الحقوق والواجبات[١]. كما منع تجول رجال القبائل بالأسلحة النارية داخل المدينة، وسمح لهم فقط بالتسلح بالخناجر (الجنابي) كما ضرب نقودًا باسمه ونشرها للتبادل بين الناس فاتسع نفوذه وقويت شوكته[٢]، وحاول تسخير ثروته الخارجية في جزر الهند الشرقية نحو تحقيق مشروعه الطموح في الاستقلال وبناء دولة جديدة له على غرار الدولتين القائمتين في حضرموت.

الإجراءات الأولى لطرد بن عبدات من الغرفة:

أثارت أعمال بن عبدات أولاً الفخائذ الشنفرية وعدتها تهديدًا لمصالحها المحلية، وخافت أن تكون هي الهدف اللاحق لبن عبدات، ولعبت الأحقاد بين الفخائذ والأسر الشنفرية دورًا في إذكاء حالة عدم الثقة[٣]، ومن أبرز الفخائذ الشنفرية التي وقفت ضد بن عبدات هي فخيذة آل عامر، والفخيذة التي ينتمي إليها آل عمر. كما أزعجت إجراءات بن عبدات السلاطين الكثيريين والقعيطيين والسلطات البريطانية.

وفي البداية تشكل حلف من القبائل الشنفرية المعادية لبن عبدات بقيادة سالم بن جعفر الكثيري والسلطنة الكثيرية، وجرت مناوشات بين الطرفين، ثم توسع هذا الحلف عندما تدخلت السلطنة القعيطية ممثلة في وزيرها حسين بن حامد المحضار الذي وقع نيابة عن السلطنة القعيطية، والسلطان منصور بن غالب الكثيري عن السلطنة الكثيرية، وسالم بن جعفر الكثيري عن الفخائذ الشنفرية اتفاقية حلف معادية لبن عبدات وذلك سنة **١٩٢٤**م نصت على إصلاح الجهة الحضرمية وإخراج ابن خالد بن عمر من الغرفة على أن يترك أمرها بعد خروج بن عبدات للتشاور بين السلطنتين وآل عمر وآل عامر. ونصت أيضًا على توحيد

(١) صلاح البكري. حضرموت وعدن. ص ١٧٠.
(٢) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٤٨.
(٣) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٥١.

جهودهم على طرد بن عبدات وتتحمل السلطنة القعيطية توفير السلاح والذخيرة، والزاد (الأكل والماء) يتحمله جميع الأطراف (كلن يشل رجاله)[١].

وقد هدف الوزير القعيطي حسين المحضار من تشكيل هذا الحلف إلى محاصرة قبائل الحموم المتحالفين مع بن عبدات والمناوئين للسلطنة القعيطية[٢]، ومن جانب آخر كان يتحرك المحضار بدافع الخوف من انتشار الأفكار الإرشادية المعادية للعلويين في حضرموت.

ويبدو أن السلطان عمر القعيطي في البداية لم يكن راضيًا عن هذا الحلف الذي عقد دون علمه، وكان يشك في ما قام به المحضار بأنه بدافع من غلاة العلويين في جنوب شرق آسيا[٣].

ولكن السلطان تغير موقفه من هذا الحلف وزاد شكه في نوايا بن عبدات وأرسل رسالة عام ١٩٢٥م إلى السلطان منصور بن غالب الكثيري ذكر له فيها، أن بن عبدات يمنع الرعايا القعيطيين من المرور في أراضيه، وأن السكوت على ذلك يزيد السفيه سفاهة[٤].

وفعلاً تشكل جيش لإخراج بن عبدات من الغرفة مكون من كل العناصر المعادية، وانقسم الجيش إلى فرقتين إحداهما حاصرت الغرفة من الناحية الغربية والأخرى من الناحية الشرقية الجنوبية، وجرت مناوشات طويلة استمرت شهرًا من ٦ محرم ١٣٤٤هـ إلى ٦ صفر ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، وقد استبسلت قوات بن عبدات في الدفاع عن المدينة، بينما دبت الخلافات في صفوف الطرف الآخر وبدأ بعض المتحالفين ينسحبون حتى رفع الحصار بعد أن فشلوا في دخول مدينة الغرفة[٥].

(١) الوثيقة رقم ١١٨، فرع الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات، سيئون.
(٢) صلاح الكبري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٥٢.
(٣) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٥٠.
(٤) الوثيقة رقم ١٢٦، فرع الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات، سيئون.
(٥) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٥٢-٥٣.

أقلقت الانتصارات التي حققها بن عبدات، وزيادة شعبيته، وعجز السلطنتين عن إزاحته السلطات الاستعمارية البريطانية فأرسل (الميجر رايلى) قائم مقام والي عدن في ٢١ يونيو ١٩٢٧م رسالة إلى وزير السلطنة القعيطية حسين بن حامد المحضار يطلب منه توضيح الموقف تجاه بن عبدات، فرد الوزير المحضار برسالة أوضح له فيها أسباب الحرب مع بن عبدات وما سببه من مشاكل أمنية ومساعدته لقبائل الحموم ونشره للمنشورات التي تدعو للجهاد ومساعدة ثورته[١]. نستنتج من هذه الرسالة أن الاهتمامات العملية للسلطات البريطانية تجاه المحميات لم تبدأ بعد وذلك تمشيًا مع السياسة البريطانية في ذلك الحين، وتبين الرسالة الدور الكبير والمبكر الذي لعبته السلطنة القعيطية والوزير المحضار في القضاء على هذه الحركة رغم أن مدينة الغرفة تعد من منطقة نفوذ الكثيري، إضافة إلى ذلك تظهر أن الوزير يمثل رجل بريطانيا المهم في المنطقة[٢].

وفي عام ١٩٢٨م جرت محاولة أخرى لاقتحام الغرفة من القوى المتحالفة السابقة ضد بن عبدات، ولكنهم فشلوا في اقتحامها[٣]، وكانت هذه آخر المحاولات الكبيرة والمعتمدة على عناصر محلية في القضاء على بن عبدات، وظلت الفترة من عام (١٩٢٨ - ١٩٣٩م) في حالة انتظار واستعداد بالنسبة لبن عبدات واستمر في بناء الحصون، وحفر الخنادق الطويلة واشترى الكثير من المؤن العسكرية مدفوعًا بالانتصارات المحدودة التي حققها[٤]، وربما كانت التطورات على السياسة الدولية وظهور النظام النازي في ألمانيا منذ بداية ثلاثينيات هذا القرن، وتغير موازين القوى العالمية كانت مبعثًا لآمال بن عبدات في الاستقلال وتحقيق طموحاته.

---

(١) الوثيقة رقم ١٣١، فرع الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات، سيئون.
(٢) توفي الوزير القعيطي حسين بن حامد المحضار عام ١٩٢٧م.
(٣) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٥١.
(٤) صلاح البكري. حضرموت وعدن. ص ١٦٨.

أما السلطات البريطانية فبدأت منذ عام ١٩٢٨م تغير من سياستها تجاه المحميات[١]، وبدأت تتدخل بصورة مباشرة في شئونها ولكن بخطوات هادئة وطويلة النفس، فبالنسبة لبن عبدات حاولت في البداية إبقاء الوضع على ماهو عليه ثم دخلت في حوار معه ليشارك في هدنة السلام العام التي تبنتها ممثلة بـ(انجرامس) وعدد من الشخصيات الحضرمية، وعندما بدأت بريطانيا اتفاقيات الاستشارة مع القعيطي عام ١٩٣٧م ثم الكثيري سعى بن عبدات من جهته ليبرم هو الآخر معاهدتي حماية واستشارة مع الإنجليز، وأكد أنه سيدفع مرتبًا إضافيًا لمستشاره البريطاني من جيبه الخاص وسيوفر له دارًا مناسبة[٢].

وطبعًا لم يستجب البريطانيون لرغبة بن عبدات، وقد كتب (انجرامس) لبن عبدات أن تعترف به رئيسًا لآل عمر ولكنها لن تعترف به سلطانًا بجانب الكثيري[٣].

قدوم عبيد صالح بن عبدات إلى الغرفة والإجراءات التي قام بها:

في عام ١٩٣٩م توفي عمر بن عبدات وخلفه ابن أخيه عبيد بن صالح بن عبيد بن عبدات[٤]، وكان عبيد بن صالح بن عبدات رجلاً طموحًا، ومن كبار زعماء حزب الإرشاد، ولذلك كان يكره العلويين ويسخر من المادة السادسة من معاهدة عدن ١٩١٨م التي نصت على وجوب احترام السادة العلويين حسب النص العربي لها ويعدها رشوة للعلويين لكي يؤيدوا السياسة البريطانية[٥].

واصل عبيد بن صالح بن عبدات بعد وصوله إلى الغرفة قيادة حركة المعارضة والتمرد ضد السلطنتين والبريطانيين ورفض توجيهات المستشار

(١) انظر السياسة البريطانية في حضرموت في الصفحات الآتية من هذا الفصل.
(٢) محمد عبدالقادر بامطرف. الإقطاعيون كانوا هنا. ص ٣٠.
(٣) سلطان ناجي. التاريخ العسكري لليمن. ص ١٤٦.
(٤) المرجع نفسه. ص ١٤٧.
(٥) محمد عبدالقادر بامطرف. الإقطاعيون كانوا هنا. ص ٢٩.

البريطاني (انجرامس) بالخضوع للسلطنة الكثيرية، كما لم يعترف باتفاقية الاستشارة الانجلوكثيرية[١].

لقد أدرك عبيد بن عبدات أن السلطات البريطانية لن تسمح له بإقامة دولة مستقلة، أو تعقد معه معاهدة حماية أو استشاره، وأن الأمور قادمة باتجاه المواجهة بينه وبين البريطانيين ولحلفائهم في المنطقة، وربما كانت ظروف الحرب العالمية الثانية التي اندلعت في أوروبا والانتصارات الأولية الكاسحة لقوات دول المحور بقيادة ألمانيا كانت عاملاً محفزًا لبن عبدات في إظهار عدائه ضد الإنجليز وينتظر نتائج الحرب، وليضمن تدفق الأموال من الخارج لدعم حركته[٢]. وكيفما كان القول فإن بن عبدات لم يكن معه خيار إلا أن ينسحب من الغرفة أو يواصل المقاومة ويتعلق بآمال غير مضمونة، واختار الخيار الثاني فقام بتكثيف الحراسات الليلية وعزز تحصينات مدينة الغرفة واستمر في شراء الأسلحة والذخائر[٣]، وقد اعتمد عبيد بن عبدات كما اعتمد عمه من قبل على قبائل الحموم المناوئين للسلطنة القعيطية.

وعمل بن عبدات على كسب بعض العناصر المهمة في المجتمع الحضرمي وكان البعض منهم يعد من رجال الحكم القعيطي، ومن هؤلاء محفوظ بن سعيد المصلي الذي عمل قاضيًا شرعيًا في مدينة شبام، ثم نائبًا للواء شبام بالنيابة، ثم مساعدًا لنائب السلطنة في المكلا[٤]، وكان من المقربين للأمير علي بن صلاح القعيطي، وقد عينه عبيد قاضيًا في الغرفة ومساعدًا له في إدارة أمور الغرفة والقيام بكتابة المراسلات والاتفاقيات.

---

(١) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٦٢.

(٢) Ingrams. w. h. Peace in the Hadramaut Reprinted form the journd the Roual central Asiamsociety Vou XXV. october, 1938. p 517.

(٣) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص٦٣-٦٤.

(٤) سعيد عوض باوزير. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي. ص ١٨٤.

كما وثق علاقاته مع بعض الشخصيات الاعتبارية أمثال المؤرخ سعيد عوض باوزير في الغيل، والشاعر الشعبي المهاجر خميس سالم الكندي، وأبوبكر عبدالله بارحيم في المكلا، والمحامي محمد علي لقمان، والفقيه محمد سالم البيحاني في عدن(١).

التحالف بين عبيد بن عبدات والأمير علي بن صلاح القعيطي:

من أهم الأحلاف التي قام بها بن عبدات هو تحالفه مع الأمير علي بن صلاح بن محمد القعيطي، وكان هذا الأمير القعيطي قد عُيِّن حاكمًا لشبام والقطن نيابة عن السلطان عمر القعيطي، ثم نائبًا للسلطنة بالمكلا في أثناء غياب السلطان صالح بن غالب عام **١٩٣٧**م(٢). وبعد التدخل البريطاني المباشر في حضرموت خاصة بعد عقد السلطنة اتفاقية الاستشارة عزل علي بن صلاح من هذه الوظيفة وذلك بإيعاز من (انجرامس) وعين فقط حاكمًا للقطن مع تبعيته الإدارية لنائب لواء شبام(٣).

تركت هذه الإجراءات أثرها في نفس علي بن صلاح القعيطي وساعدت على تقاربه مع بن عبدات، وربما عزز من ذلك إحساسه باستحقاقه للسلطنة أسوة بأبناء عمومته، فجده هو محمد بن عمر القعيطي شقيق الجمعدارات عوض وعبدالله وصالح أبناء عمر القعيطي المخطط الأول لقيام هذه السلطنة.

استغل بن عبدات فرصة الإجراءات التي اتخذت ضد الأمير علي بن صلاح القعيطي وحالة العداء الذي ظهرت بينه وبين المستشار البريطاني (انجرامس) وحاول استغلالها لشق الصف القعيطي وعقد معه تحالفًا عسكريًا من نصوصه أن يسعيا إلى كل ما فيه صلاحهما، ويقوم علي بن صلاح بجمع كلمة يافع إلى جانبه ويحتل مدينة شبام، كما جاء فيها أن أي اعتداء على أحدهما من قبل السلطنتين

(١) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٦٦.
(٢) سعيد عوض باوزير. الفكر والثقافة. ص ١٧١.
(٣) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٧٤.

فيدهم واحدة وقوتهم واحدة ويتم الاتصال وتبادل المنافع بينهما[١].

وتحتوي هذه الاتفاقية (الحلف) من الناحية الشكلية على مكاسب وامتيازات لبن عبدات منها:

١- أنها تمثل شقًا في الصف القعيطي.

٢- تجعل من مناطق القطن وشبام مناطق استشعار أولية لبن عبدات.

٣- الخطر القادم عليهما متوقع من السلطنة القعيطية الدولة الأقوى فهي إذن تضع علي بن صلاح في فوهة المدفع.

٤- أن الأمير علي بن صلاح أمير شرعي ومن الأسرة الحاكمة ففشل التحالف يعني خسارة لمركزه الرسمي، أما بن عبدات فهو أمير غير معترف به وفشله تأكيد للأمر الواقع.

لم يلتزم علي بن صلاح بأهم بنود هذا الحلف خاصةً تلك التي تجعل عداءه واضحًا للسلطنة القعيطية، واقتصر على إرسال المواد الغذائية إلى الغرفة، وتسهيل وصول رجال القبائل المتعاطفين مع بن عبدات إلى الغرفة.

وعندما فشلت حركة بن عبدات وانكشف أمر هذا التحالف حاول علي بن صلاح القعيطي نفي ما تحمله الوثيقة من معاني تدعو إلى التمرد على السلطنة وفصل شبام عنها، وسوغ ذلك من خلال الآتي:

١- أنه لم ينفذ بنود هذه الاتفاقية ويعلن تمرده على السلطنة.

٢- خوفه من امتداد قوات بن عبدات إلى شبام والقطن وذلك (حسب زعمه)، لضعف الحامية الحكومية الموجودة في شبام ووجود القوة الكافية في جانب بن عبدات، وذكر أنه يتوقع من بن عبدات كل الاحتمالات نظرًا لحالته النفسية واغتراره بالانتصارات الوقتية التي أحرزها[٢].

---

(١) نص الوثيقة في الملحق (٤).

(٢) نص الوثيقة في الملحق (٥).

إن اجتهادات الأمير علي بن صلاح في نفي تحالفه مع بن عبدات بما حملته الوثيقة من معاني لا تنفي تورطه من وجهة نظر السلطنة القعيطية في هذا التحالف فتبريراته حول الدفاع عن شبام ومنع توسع بن عبدات من خلال خلق صداقة وقتية معه، هذه التبريرات مردود عليها من حيث إن مصدر قوة بن عبدات يأتي من تمركزه في حصون متجاورة يسهل الاتصال فيما بينها وبين مدينة الغرفة، وكانت أي محاولة لبن عبدات في التوسع في ظروف الحصار الاقتصادي المفروضة عليه تجعل توسعه وكأنه خروج من الجحر الآمن إلى الفضاء المكشوف، وإذا كان علي بن صلاح يفكر بالفعل بهذه الطريقة فكان من باب أولى وضع السلطان صالح في الصورة، وإخباره بأمر هذه الوثيقة ليبعد عن نفسه الشكوك التي تحوم حوله، وترفع مكانته عند السلطان صالح حيث كان في حاجة إليها في ذلك الوقت، والتبرير الذي قدمه حول عدم إخباره للسلطان بأمر هذه الوثيقة هو أنه رأى أن لا داعي لذلك ما دامت الأمور تمشي بدون أن تهدد أراضي الدولة القعيطية[١]، فهذا التبرير ضعيف وغير مقنع.

إن موقف الأمير علي بن صلاح القعيطي المتذبذب من هذا الصراع جاء من حسابات شخصية له خارجية وداخلية، أما الحسابات الخارجية فنعتقد أنه راهن على هزيمة بريطانيا في الحرب العالمية الثانية، ولأن بن عبدات دخل في عداء مع بريطانيا وحلفائها في المنطقة فتوقع أن تكون المتغيرات ما بعد الحرب ستكون لصالح بن عبدات والمتحالفين معه، وسيكون المرشح الأول في خلافة مقام يافع في حضرموت وبن عبدات في خلافة مقام آل كثير، أما حساباته الداخلية في حالة هزيمة بن عبدات فتكمن في أنه لم يقم بأي عمل عسكري مباشر ضد السلطنتين وسيدعم موقفه بالتبريرات التي ذكرناها.

وخلاصة القول أن هذا التحالف بين الأمير علي بن صلاح والأمير بن

(١) انظر وثائق علي بن صلاح القعيطي، الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات، المكلا رقم ٩٧.

عبدات رغم أنه يحمل أوجهًا كثيرة فقد نفع بن عبدات أكثر مما ضره فهو على الأقل وضع الأمير علي بن صلاح على الحياد، ويعد هذا التحالف أيضًا جزءًا من الصراع السياسي بين أفراد الأسر الحاكمة، واتخذ هذا الصراع شكله الواضح بالنسبة لبن عبدات وشكله المستتر بالنسبة لعلي بن صلاح.

سقوط مدينة الغرفة ونهاية حركة بن عبدات:

تميزت الفترة من عام (**١٩٣٩ - ١٩٤٥م**) بالأعمال العسكرية البريطانية المباشرة ضد بن عبدات، واستخدمت في هذه الإعمال الطائرات والقاذفات، ففي سنة **١٩٣٩م** هاجم المستشار البريطاني قبائل الحموم في غيل بن يمين - كما سبقت الإشارة - وقد حاول (انجرامس) الاتصال بالمعتمد البريطاني في عدن ولعطل في جهاز اللاسلكي في سيئون توجه إلى شبام للاتصال وفي طريقه إلى شبام مارًا بالغرفة واجه (انجرامس) مشاكل وموقفًا مهينًا متعمدًا من بن عبدات وجنوده وعدَّ (انجرامس) ذلك إهانة شخصية له وللتاج البريطاني فقامت الطائرات بقصف الغرفة ثلاثة أيام[١].

ولكن الجيش النظامي والقوات الحكومية الأخرى لم تستطع اقتحام مدينة الغرفة، وقد هدف (انجرامس) من ضرب بن عبدات إلى تهديده وإجباره على قبول تمديد هدنة السلام التي يجري التحضير لإعلانها عشر سنوات أخرى (**١٩٤٠ - ١٩٥٠م**) ولأسباب تكتيكية وافق بن عبدات على تمديد الهدنة أو صلح العشر سنوات[٢]، كما عرض جزءًا من ممتلكاته في سنغافورا كضمان لحسن سلوكه، ولكنه ظل محتفظًا بقوته ويتحين الفرص، وعندما دخلت إيطاليا الحرب العالمية الثانية في **١٠** يونيو **١٩٤٠م** جدد بن عبدات نشاطاته المعادية للإنجليز وحلفائهم[٣]، ونتيجة لزيادة التهديد الإيطالي في شرق أفريقيا لمناطق

(١) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٦٧.
(٢) فتاة الجزيرة العدد (٢٧). السنة الأولى. ٣٠ يونيو ١٩٤٠م. ص ٦.
(٣) سلطان ناجي. التاريخ العسكري لليمن. ص ١٤٧.

النفوذ البريطاني في المنطقة تم سحب القوات البريطانية المرابطة في حضرموت لدعم العمليات العسكرية في منطقة البحر الأحمر ضد إيطاليا[١]، وقد خفف ذلك من الضغط على بن عبدات واكتفت السلطات البريطانية بتناوب المناوشات العسكرية مع بن عبدات حتى عام ١٩٤٤م.

وخلال هذه الفترة شهدت حضرموت مجاعة (سبق الإشارة إليها) راح ضحيتها الآلاف، وتركت المجاعة أثرها على مجريات هذه الأحداث فالبعض من رجال بن عبدات عادوا إلى مناطقهم للاطمئنان على ذويهم ومساعدتهم في التصدي لهذه المجاعة فانخفضت قوات بن عبدات إلى (٢٠٠) رجل[٢].

وقد تأثرت بالمجاعة مدينة الغرفة نفسها فقام بن عبدات ببعض الأعمال اليائسة مثل الاستيلاء على بعض قوافل الإغاثة المارة بالغرفة في طريقها إلى سيئون بحجة ذهابها إلى الطرف المعادي، وحينًا يفرض عليها ضرائب كبيرة، وقد أظهرت هذه التصرفات الكيدية والطائشة بن عبدات بمظهر القاطع للطريق، أو المانع لوصول المساعدات الإنسانية للمنكوبين، أما السلطات البريطانية فظهرت بمظهر المنقذ لمنكوبي المجاعة، ولاشك أن هذه الإجراءات أضرت بن عبدات وأفقدته تأييد بعض المتعاطفين معه[٣].

وفي ١٣ نوفمبر ١٩٤٤م طلب حاكم عدن من قائد القوات الجوية البريطانية مساعدة القوات المتحالفة ضد بن عبدات للقضاء عليه واقترح أن يقوم جيش المكلا النظامي بالعملية بعد تزويده بقذائف الموتر والمدافع الرشاشة على أن تنقل هذه الأسلحة وطاقمها وذخيرتها عن طريق الجو إلى المدرج الجوي في القطن الذي يبعد (١٥) ميلاً إلى الغرب من الغرفة[٤]، وتنفيذًا لذلك أمر قائد

(١) التقرير حول العمليات ضد بن عبدات. ص ٣.
(٢) المرجع نفسه. ص ٣.
(٣) محمد عبدالقادر بامطرف. الإقطاعيون كانوا هنا. ص ٣١.
(٤) تقرير حول العمليات ضد بن عبدات. ص ٤.

القوات الجوية قيادة أركانه باستطلاع منطقة الغرفة، وتقديم تقرير بالقوة التي تحتاجها مهمة الاقتحام، ونتيجة لذلك الاستطلاع اقترح أن تكون القوة مكونة من فيلق متكامل من العربات وحملة رشاشات ووحدتين من المشاة[١].

وفي ١١ يناير ١٩٤٥م حددت الخطوط العريضة لتركيب القوة وخطة الهيكل الإداري، فبالنسبة للقوة فتكونت من جيش عدن (الليوي) والجيش الهندي التابع لولاية حيدرأباد وجيش النظام القعيطي، وقوة من الجيش غير النظامي بقيادة محمد بن محسن السعدي[٢]، وتقرر نزول القوة في المكلا وإقامة قاعدتها في محطة سلاح الجو الملكي في الريان، وقيام قاعدة متقدمة في سيئون تنطلق منها العمليات ضد بن عبدات في الغرفة، وحول خطة الهيكل الإداري تقرر أن يكون مقر قيادة القوات البريطانية في عدن مسئولاً عن:

١- حشد القوات من عدن وتحميلها.

٢- الإنزال في المكلا وإقامة القاعدة في الريان.

٣- إقامة بعض المستودعات المتقدمة للدورية والتموين بين الريان وسيئون.

كما حددت مسؤولية قائد القوة بالآتي:

١- أن يشرف على تحرك القوات من الريان إلى سيئون.

٢- إدارة العمليات ضد الغرفة.

٣- عودة القوات إلى الريان[٣].

وبعد إجراء الترتيبات اللازمة لحشد القوات حددت في ٢٠ يناير ١٩٤٥م أهداف الحملة العسكرية بالآتي:-

(١) المرجع نفسه. ص ٤.
(٢) صلاح البكري. حضرموت وعدن. ص ١٦٨.
(٣) تقرير حول العمليات ضد بن عبدات. ص ٦.

١- الاستيلاء على الغرفة وتجريد العبيد من السلاح وإخلاء جميع الأسلحة والذخيرة من الغرفة وإزالة السور الخارجي.

٢- القبض على بن عبدات.

٣- الاستيلاء على الدور التي يمتلكها بن عبدات[١].

وبعد الانتهاء من هذه الاستعدادات العسكرية قدم المستشار البريطاني (فنست جيلنداي)[٢] إنذارًا قويًا لبن عبدات مطالبًا إياه بتسليم نفسه وبدون شروط، وبضمان سلامته واستسلام قواته وتسليم معداته، وحدد الإنذار فترة سبعة أيام للرد ما لم يذعن خلال هذه الفترة ستكون المواجهة العسكرية ضده[٣].

وفي ٣٠ يناير ١٩٤٥م انتهت مدة الإنذار دون أن يستجيب بن عبدات له عندئذ بدأ التنفيذ الفعلي في خطة الحشد والاستعدادات التي ذكرناها ووصلت هذه الحشود إلى المكلا بحلول ٢٠ فبراير ١٩٤٥م ثم واصلت سيرها إلى سيئون وحشدت فيها القوات في ٣ مارس ١٩٤٥م[٤].

وفي المدة من ٣ إلى ٥ مارس نشرت القوات واتخذت المواقع اللازمة استعدادًا للهجوم، كما قامت القوات القعيطية غير النظامية بمهمة الدورية بين شبام والغرفة لمنع تسرب البادية إلى مدينة الغرفة[٥]، وحدثت بعض المناوشات اليسيرة كان أهمها ذلك الاشتباك الذي جرى من ديار آل بلفاس بين جيش (الليوي) وقائد جيش بن عبدات محبوب البدوي الذي أدى إلى مقتله وكان لذلك تأثيره في إضعاف الروح المعنوية عند بن عبدات وقواته[٦].

---

(١) المرجع نفسه. ص ١٥.
(٢) انتهت خدمة (انجرامس) لمحمية عدن الشرقية عام ١٩٤٤م.
(٣) انظر نص الإنذار في الملحق (٦).
(٤) تقرير حول العمليات ضد بن عبدات. ص ٥.
(٥) صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. ص ٢٠٩.
(٦) صلاح البكري. حضرموت وعدن. ص ١٦٩.

وفي هذه الأثناء وجه المستشار البريطاني (فنست جليندای) في ٦ مارس ١٩٤٥م أمرًا رسميًا إلى قائد القوة بمباشرة العمليات[١].

بدأت العمليات العسكرية منذ صباح ٦ مارس ١٩٤٥م، وحلقت طائرات فوق الغرفة وألقت منشورات تحذر السكان من الهجوم وتنصحهم بالتوجه إلى أماكن آمنة.

وعصر ٦ مارس أعطى المستشار (فينست جيلنداي) إشارة لبن عبدات يمنحه فرصة أخيرة للاستسلام على أساس شروط الإنذار، ورد بن عبدات برسالة لطلب التفاوض بضمان سلامة الوفد[٢].

وفي فجر ٧ مارس ١٩٤٥م لاحت أعلام بيضاء على أسوار مدينة الغرفة إعلانًا عن الاستسلام وفقًا للشروط البريطانية[٣]، ودخلت القوات المشتركة الغرفة وسلم عبيد صالح نفسه للمستشار البريطاني حيث أقلته طائرة إلى عدن ثم نفي إلى إندونيسيا حتى وافته المنية في مدينة بتافيا عام ١٩٦٣م[٤].

تقييم حركة بن عبدات وأسباب فشلها:

اختلفت آراء المؤرخين حول طبيعة هذه الحركة فعدّها البعض إعلانًا عن ولادة أول حركة وطنية في حضرموت ضد الاستعمار وحلفائه[٥]، ويرى البعض الآخر أنها جزء من الصراع العشائري في حضرموت، وأن بن عبدات لا يختلف عن الحكام المحليين لكونه حاول أن يتحالف مع البريطانيين مقابل الاعتراف به سلطانًا ثالثًا في حضرموت فهو لا يتعدى كونه طامعًا جديدًا في السلطة[٦].

---

(١) نص الأمر في الملحق (٧).
(٢) انظر نص الرسائل المتبادلة بينهما في الملحق (٨).
(٣) تقرير عن العمليات ضد بن عبدات. ص ١٠.
(٤) محمد عبدالقادر بامطرف. الإقطاعيون كانوا هنا. ص ٣٠.
(٥) محمد عمر الحبشي. المرجع السابق. ص٨٧، وانظر محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص٣٥.
(٦) انظر سلطان ناجي. المرجع السابق. ص ١٤٦ ومحمد عبدالقادر بامطرف. الإقطاعيون كانوا هنا. ص ٢٨-٢٩.

والدارس يميل أكثر للرأي الثاني فوفقًا للمعطيات التاريخية التي تناولتها هذه الدراسة لاحظنا أن بن عبدات كان يملك ثروة كبيرة في سنغافورا وطمع في أن يؤسس لنفسه حكمًا مستقلاً في حضرموت مستفيدًا من هذه الثروة ومن الأوضاع السائدة المتدهورة في حضرموت، وحالته هذه تكرار إلى درجة معينة لما قام به كل من غالب بن محسن الكثيري، وعمر بن عوض القعيطي[١] في النصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي عندما استفادا من ثروتهما ومن الأوضاع السائدة في حضرموت وأسسا كيانيهما السياسيين في حضرموت، أما بن عبدات فجاء في ظروف ما بعد الحرب العالمية الأولى وفي فترة تحددت فيها خريطة المنطقة السياسية وارتبطت السلطنتان باتفاقية حماية مع بريطانيا فتطلعاته السياسية كانت تتناقض مع الترتيبات التي أفرزتها اتفاقية عام ١٩١٨م التي جعلت الغرفة تابعة للسلطنة الكثيرية.

كما أن اختيار منطقة الغرفة لتكون نواة لهذه الحركة الاستقلالية يعد من النظرة الأولى اختيارًا منطقيًا فبالقرب منها تسكن عشيرته كما أن الدولة الكثيرية التابعة لها هذه المنطقة لم تصل إليها في حينه فوضعها يساعد على احتلالها، ولكن من الناحية الاستراتيجية لا تشكل أهمية قتالية كبيرة وذلك لسهولة حصارها ولم يكن لها امتداد طبيعي يصعب اختراقه ومن خلاله تحقق اتصال مع الخارج، ونعتقد أنه لو استغل ثروته في مساندة حركة الحموم واتخذ من مناطقهم الشاسعة نقطة للانطلاق، لكان ذلك أجدى ولشكل تهديدًا حقيقيًا ضد البريطانيين وحلفائهم خاصةً أنه اعتمد بدرجة رئيسة في أعماله الحربية على رجال قبائل الحموم.

وحتى يبقى طويلاً في مدينة الغرفة استخدم الأساليب الدبلوماسية والتكتيكية فهو تطلع إلى كسب ود بريطانيا، فطلب حمايتها ومشورتها، ووافق على مضض على هدنة السلام الأولى والثانية، كما لم يظهر عداءه السافر ضد

(١) انظر الفصل الأول التمهيدي من هذه الدراسة.

البريطانيين إلا بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، وراهن على هزيمة بريطانيا وحلفائها في الحرب، ولكن خابت توقعاته، وعندما عزمت بريطانيا على القضاء عليه لم يصمد كثيرًا.

ولعله سيكون نوع من الإجحاف لو ربطنا هذه الحركة بشخصية بن عبدات فالتمييز الحذر بين حركة بن عبدات المناهضة للاستعمار وحلفائه وشخصية بن عبدات سيعطي تقييمًا للحركة فيه نوع من الإنصاف، وسيحسب للحركة مناهضتها للاستعمار وحلفائه في المنطقة، وأنها نمت الشعور الوطني المناهض، وبدأت تنادي بتحولات اجتماعية أكثر تطورًا، فهي بهذا المقياس تعد حركة تقدمية، أما شخصية بن عبدات رغم تزعمه لهذه الحركة فهو لايتعدى كونه مغامرًا سياسيًا أراد أن يؤسس لشخصه ولأسرته كيانًا سياسيًا جديدًا على حساب السلطنتين القائمتين ولكنه أخطأ في اختيار الزمان والمكان.

لقد فشلت حركة بن عبدات للأسباب الآتية:-

١- تفوق القوات المتحالفة ضد بن عبدات في العدة والعتاد وخاصة استخدامهم للطائرات والقاذفات.

٢- وقوف معظم الفخائذ الشنفرية ضد حركة بن عبدات، يحركها في ذلك التنافس والعداء القبلي[١].

٣- أخذت هذه الحركة منذ بدايتها شكل تيار معزول ومحدود النطاق فقد كان للتكوين العشائري للمجتمع، وتخلف السكان، وعدم وجود مواصلات حديثة، كل ذلك أدى إلى خنق هذه الحركة وعدم شمولية تأثيرها في مناطق حضرموت الأخرى[٢].

(١) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٩٦.
(٢) محمد عمر الحبشي. المرجع السابق. ص ٨٧.

ثالثًا:- تطور النفوذ البريطاني في شئون السلطنتين

١- معالم السياسة البريطانية في جنوب اليمن (١٨٣٩-١٩١٨م)

معاهدات الولاء والصداقة:

احتلت بريطانيا عدن في ١٩ يناير عام ١٨٣٩م وذلك لخدمة المصالح الاقتصادية والسياسية البريطانية، وجعلها نقطة للتوسع وبداية الانطلاق لتأكيد نفوذها الاستعماري في منطقة جنوب الجزيرة العربية والبحر الأحمر(١). وبعد احتلال عدن شخصت بأطماعها نحو المناطق التي تحيط بها لتحقق حزامًا حولها يضمن لها الأمان بأقل التكاليف.

ولما كان موقع عدن الاستراتيجي المهم يحتم وجود هدوء نسبي كي تستفيد منه بريطانيا فائدة محققة، فإن الساسة البريطانيين سعوا منذ البداية في تطبيق سياسية المبدأ المرن ولهذه السياسية مظاهر شتى، أولها عقد المعاهدات الولائية مع الحكام التي صاحبها صرف رواتب شهرية أو سنوية تختلف باختلاف مكانة كل حاكم، إطلاق مدافع الترحيب لمن يأتي من السلاطين إلى عدن أو يسافر منها، ثم منحهم الألقاب والنياشين والهدايا، ثم التحزب لبيت طامع في الملك على بيت مالك أو العكس، ثم التدخل في السياسة المحلية عملاً برغبتهم ومصلحة بريطانيا(٢).

ومن الملاحظ أن المعاهدات الولائية التي عقدتها بريطانية مع غالبية حكام جنوب اليمن متشابهة وتنحصر في تعهد بريطانيا لحماية السلطنة أو الإمارة أو المشيخة ضد أي عدوان خارجي مقابل محافظتهم على سلامة الطرق وصداقة بريطانيا(٣).

---

(١) فاروق عثمان أباظة. عدن والسياسية البريطانية في البحر الأحمر والبلاد المجاورة لها (١٨٣٩-١٩١٨م). الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص ١٣٢.

(٢) قحطان الشعبي. المرجع السابق. ص ١١.

(٣) مجموعة معاهدات والتزامات وسندات متعلقة بالهند والبلاد المجاورة لها. المجلد الأول.

أما إذا ثارت إحدى القبائل على البريطانيين فإن المقيم البريطاني يثير قبيلة يمينية أخرى عليها، وهذا توجيه شركة الهند الشرقية البريطانية للكابتن (هينز) بتحريض القبيلة الموالية على القبيلة المعادية فلا يحتاج إلى قوات بريطانية[١].

وكانت السياسة الاستعمارية التي ينفذها المقيم السياسي في عدن تسير وفق رغبات حكومة بومباي وحكومة الهند ومجلس الإدارة لشركة الهند الشرقية والحكومة البريطانية أيضًا[٢].

وعلى الرغم من أن أبعاد السياسة البريطانية في سلطنات وإمارات جنوب اليمن تتغير من آن لآخر طبقًا لتغير المقيمين في عدن، فإن هذه السياسة كانت تلتزم بصفة عامة عدم التدخل في شئون القبائل إلا بالقدر الذي يسمح بالمحافظة على المصالح البريطانية[٣]، خاصةً أن الإمام الزيدي في شمال اليمن حينذاك ضعيف ولا يشكل خطرًا عليهم[٤].

معاهدات الحماية:

مع بداية العقد التاسع من القرن التاسع عشر الميلادي قررت بريطانيا الانتقال من معاهدات الولاء والصداقة إلى معاهدات الحماية التي فرضتها على الحكام المحليين، وذلك لتأمين سلامة الطريق التجاري المهم الذي يربط بريطانيا بمستعمراتها، وتأمين عدن ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة لبريطانيا، وكذلك تأمين الطرق الداخلية الموصلة لعدن[٥]، ولإبعاد تغلغل العثمانيين في المنطقة خاصةً بعد احتلالهم صنعاء عام **١٨٧٢**م. وأخذوا يستميلون الأمراء وزعماء القبائل الجنوبيين إليهم ويدعونهم للثورة ضد الإنجليز[٦]، كما ارتبطت

(١) فاروق عثمان أباظة. المرجع السابق. ص ٢٢٩.
(٢) مجموعة من المؤلفين السوفيت. المرجع السابق. ص ٦٥.
(٣) جاكوب. المرجع السابق. ص ٢٥٣.
(٤) فاروق عثمان أباظة. المرجع السابق. ص ٢٢٦.
(٥) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٢٤٣.
(٦) أحمد عطية المصري. المرجع السابق. ص ١٧.

هذه السياسة بتوسع مصالح بريطانيا في آسيا الغربية وأفريقيا، وبعد أن اشترت بريطانيا أسهم مصر في قناة السويس عام ١٨٧٥م[١].

جاء اهتمام بريطانيا بعقد معاهدات الحماية نتيجة لتقارير (الميجر هنتر) مساعد المقيم السياسي بعدن الذي اقترح فيها على حكومة الهند ضرورة عقد معاهدات حماية مع القبائل والسلطنات المحلية والمجاورة لعدن، وقد وافقت حكومة الهند على ذلك انطلاقًا من أن فرض الحماية البريطانية على القبائل والمناطق من جزيرة الشيخ سعيد حتى حدود عمان سيمنع أي تدخل أجنبي في المنطقة[٢].

وكانت أهم سمات هذه المعاهدات هي بسط السيادة البريطانية على الدويلة الطرف في المعاهدة وإلزامها بأن لا ترتبط بعلاقات مع أي حكومة أجنبية بدون موافقة بريطانيا، وبأن لا تتنازل عن أي جزء من أراضيها لصالح أي دولة أخرى سوى بريطانيا[٣].

وقد حدت الحماية المفروضة بمقتضى تلك المعاهدات من سيادة الحكام المحليين حتى في الشئون الداخلية التي كان يزاول فيها أولئك الحكام قدرًا أكبر من الاستقلال، فإن الرقابة البريطانية العليا كانت تمتد إليها في معظم الأحيان[٤]، كما ساعدت معاهدات الحماية على تعميق التجزئة القبلية في جنوب اليمن، فحتى عام ١٩٣٧م عقدت بريطانيا (٣١) معاهدة حماية مع حكام الجنوب اليمني[٥].

---

(١) محمد عمر الحبشي. المرجع السابق. ص ١٥.

(٢) I. OL. B30 Memorandum by Lieutenant, General J. W Schenider, C. B., october. 1885.

(٣) مجموعة معاهدات والتزامات وسندات متعلقة بالهند والبلاد المجاورة لها. المجلد الأول.

(٤) محمود كامل المحامي. اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م. ص ٢٤٠.

(٥) المرجع نفسه. ص ٢٣٩.

وبالنسبة للسلطنتين القعيطية والكثيرية، فقد عقدت بريطانيا مع السلطنة القعيطية اتفاقية حماية عام ١٨٨٨م؛ وبموجب اتفاقية عدن عام ١٩١٨م بين القعيطيين والكثيريين دخل الكثيري ضمنيًا تحت الحماية البريطانية، أثبتت معاهدات الحماية فشلها إبان الحرب العالمية الأولى لأنها لم تمنع العثمانيين من الوصول إلى لحج، ومن الاقتراب من عدن نفسها، واليسطرة على بعض مناطق اليمن الجنوبي والاتصال بالزعماء المحليين واستمالتهم(١).

سياسة التقدم نحو الأمام:

بعد الحرب العالمية الأولى حصل شمال اليمن على استقلاله السياسي وبرز كقوة مستقلة تحاول الوقوف ضد البريطانيين الذين عززوا باستمرار مواقعهم في جنوب اليمن، وأعلن الإمام يحيى حميد الدين غير مرة عدم اعترافه بالسيطرة الإنجليزية على عدن ومحمياتها(٢).

حاولت السلطات الاستعمارية تسوية علاقاتها مع الإمام الذي انتزع بعد الحرب العالمية الأولى مناطق من محمياتها وهي: الصبيحة، ويافع العليا، والعواذل، وقد أرسلت الحكومة البريطانية عدة بعثات إلى الإمام بهدف الحصول على اعتراف بالحدود السابقة لشمال اليمن مع محميات عدن، إلا أن هذه البعثات انتهت بالفشل، ثم مارس البريطانيون ضغوطات كثيرة على الإمام منها تشجيع الانتفاضات القبلية في الجزء الغربي من اليمن، ثم أقدموا على الاعتداء الواضح بقصفهم المدن والقرى اليمنية(٣).

وفي عام ١٩٢٧م قرر الإنجليز تحويل عدن من وزارة الحربية، وعملوا منها قيادة جوية مباشرة تحت وزارة الطيران، وبعد أن سحبوا كل قواتهم البرية من عدن أوكلوا لطيرانهم مسئولية المحافظة على أمن المستعمرة ومحمياتها، ثم

(١) أحمد عطية المصري. المرجع السابق. ص ١٨.
(٢) مجموعة من المؤلفين السوفيت. المرجع السابق. ص ٦١.
(٣) المرجع نفسه. ص ٦٢.

التدخل في الداخل لتنفيذ سياستهم التوسعية الجديدة، وأنشأوا قوة محلية عربية هي جيش (الليوي) ليدعم سلاح الطيران في إخضاع المحميات[١]، ولا شك أن هذا التغير في السياسة البريطانية يحتل أهمية كبرى، فاستخدام سلاح الجو البريطاني يجعل التوسع ممكنًا في المحميات، ويجعل التوسع مطلوبًا أيضًا لكي يمكن استخدام السلاح الجديد استخدامًا أمثل.

وفي عام **١٩٢٨**م استطاعت بريطانيا أن تمد مساحات لنزول طائراتها في مختلف أنحاء المحمية بعد أن أصبحت عدن مركزًا للقيادة الجوية في المنطقة، وهنا أصبح الاتصال سهلاً بوساطة الطائرات.

غير أن تقدم بريطانيا نحو الداخل لم يتحقق إلا بعد عام **١٩٣٤**م إثر مصادمات مسلحة بين قوات الإمام وقوات بريطانيا واستعانت الأخيرة بالطائرات التي كانت سلاحًا جديدًا على المنطقة، وحاسمًا في الوقت نفسه، واستطاعت بريطانيا أن تسوي خلافاتها لمصلحتها بمعاهدة **١٩٣٤**م[٢] التي تعد نصرًا دبلوماسيًا مهمًا لبريطانيا، لأنها نجحت بذلك في حملها الإمام بصورة غير مباشرة على القبول بالأمر الواقع لليمن الجنوبي تحت الإدارة البريطانية[٣].

ومع نهاية العقد الثالث من هذا القرن بدأت الحكومة البريطانية في لندن تهتم بتغيير النظام الإداري وتحسينه في المحميات حفاظًا على مصالحها في عدن ولترسيخ سيطرتها على المحميات، وكانت المستعمرة ومحمياتها تتبع لحكومة بومباي من عام (**١٨٣٩-١٩٣٢**م)، ثم لحكومة الهند المركزية (**١٩٣٢-١٩٣٧**م) ثم تغير النظام الإداري لعدن والمحميات كلية بإعلان بريطانيا في أوائل إبريل سنة **١٩٣٧**م عدن مستعمرة تاج تابعة مباشرة لوزارة المستعمرات بلندن، كما أن المحميات أصبحت خاضعة لتشريع جديد صدر لتنظيم ذلك

(١) جافين. مجلة التراث. المرجع السابق. ص ٦٠.
(٢) أحمد عطية المصري. المرجع السابق. ص ١٨.
(٣) محمد عمر الحبشي. المرجع السابق. ص ١٤٤.

الوضع في العام نفسه باسم قانون محمية عدن[١]، وبموجب هذا التشريع أصبحت المحميات موزعة على وحدتين إداريتين تمثلتا في المحمية الغربية والمحمية الشرقية، وتتكون محمية عدن الغربية من الإمارات والمشيخات الآتية: -

سلطنة لحج، والفضلي، والعوالق العليا والسفلىٰ، والعوذلي، ويافع السفلىٰ والعليا، والحواشب، وإمارة بيحان، والضالع، ومشيخة العقربي، والشعيبي، والموسطة، والمفلحي، والحضرمي، والقطيبي، ودثينه.

أما محميات عدن الشرقية فهي سلطنتا الواحدي الأولى بعاصمتها بلحاف والأخرى بعاصمتها بير علي، وسلطنة المهرة، وسلطنتا حضرموت القعيطية والكثيرية[٢].

ووضع لكل وحدة إدارية معتمد بريطاني يكون مسئولاً مسئولية مباشرة أمام حاكم عدن. وكانت المرحلة اللاحقة والمهمة لإحكام السيطرة البريطانية على مناطق اليمن الجنوبي، تتمثل في توقيع اتفاقيات الاستشارة مع الحكام المحليين، التي ربطتهم ارتباطًا وثيقًا بالمعتمدين البريطانيين[٣].

٢- تعزيز النفوذ البريطاني في حضرموت (١٩٣٤-١٩٤٥م)

ارتبطت الجهود البريطانية في التدخل المباشر في شئون حضرموت بالمستر (هارولد انجرامس)، أحد كبار الساسة البريطانيين المتخصصين في الشئون العربية، ففي عام **١٩٣٤**م زار (انجرامس) حضرموت لأول مرة ليقدم تقريره حول أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية لحكومته، وكانت الغاية من إعداد هذا التقرير الذي نشر عام **١٩٣٦**م الاستفادة منه في وضع السياسة

(١) محمود كامل المحامي. المرجع السابق. ص ٢٥٩.
(٢) مجموعة من المؤلفين السوفيت. المرجع السابق. ص ٧٠.
(٣) ل. فالكوفا. السياسة الاستعمارية في جنوب اليمن. ترجمة: عمر الجاوي، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٤م. ص ٦.

البريطانية الجديدة المتمثلة في التدخل البريطاني المكثف والمباشر في شئون حضرموت موضع التنفيذ[١].

وكانت حضرموت وحتى عام **١٩٣٧**م خاضعة لتنظيم إداري بدائي، وكانت الأعراف القبلية تسيطر على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيها. ولم يكن هناك وزراء ولا ميزانية ولا دوائر اقتصادية أو اجتماعية منظمة، وكان الحكام يتمتعون بسلطات مطلقة، وكانت قوة الحاكم أو ضعفه مرتبطة بمدى دعم القبائل التي ينتسب إليها وولائها له[٢].

وفي عام **١٩٣٥**م وبعد وفاة السلطان عمر بن عوض القعيطي مباشرة قام (انجرامس) بزيارة ثانية إلى المكلا للاطمئنان على الوضع بعد وفاة السلطان عمر، وبعد الزيارة قدم توصياته للحكومة البريطانية لتنفيذ السياسة الجديدة وألمح في هذه التوصيات بأن الوضع الجديد توجد به عناصر واعدة لتنفيذ السياسة البريطانية[٣]، وأصبحت تقارير (انجرامس) وتوصياته هي الركيزة الأساسية في سياسة التدخل البريطاني في شئون حضرموت، وفي عام **١٩٣٦**م تم تعيين (انجرامس) مستشارًا مقيمًا لكل من السلطانين القعيطي والكثيري، وسكن المستشار المقيم مدينة المكلا، وكان حسب وضعه الوظيفي مرؤوسًا من حاكم مستعمرة عدن السير (برنارد رايلي)[٤].

هدنة السلام (صلح انجرامس):

تكمن أهمية دور (انجرامس) في حضرموت أنه كان مدخلاً للاستعمار وأداة توغله وسيطرته، وقد بدأ (انجرامس) أعماله بترسيخ هدنة بين القبائل المتنازعة

(١) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٥٣.
(٢) محمد عمر الحبشي. المرجع السابق. ص ٢٠.
(٣) صحيفة الأيام. العدد (١٠٩)، السنة الحادية عشرة، ٩ ديسمبر ١٩٩٢م، ص ٦.
(٤) سلمى سمر الدملوجي. حضرموت الحالة السياسية في ظل الحكم البريطاني غير المباشر. مجلة الثقافة الجديدة، العدد الأول، يناير/ فبراير ١٩٨٨م. ص ٦.

في المنطقة، وقد نجح في ذلك عن طريق إغراء رؤساء القبائل بالمال والسلاح إلى جانب التلويح باستخدام القوة العسكرية والقصف الجوي للمناطق بالطائرات، نجح في إبرام (١,٤٠٠) معاهدة صلح مع رؤساء القبائل الحضرمية باسم السلطانين القعيطي والكثيري، وبهذه المعاهدات فرض (انجرامس) على معظم القبائل الحضرمية الهدنة الأولى المعروفة بصلح (انجرامس) لمدة ثلاث سنوات ١٩٣٧م إلى ١٩٤٠م[١]، ولاشك أن هذا العدد الكبير من التوقيعات يعطينا مؤشرًا عن حالة التجزئة القبلية التي تعيشها حضرموت آنذاك.

كان الغرض الرئيس من هذه الهدنة هو بسط سلطة السلاطين على مناطقهم بعد ربطهم بمعاهدات الاستشارة، ويسمح للبريطانيين في الوقت نفسه التدخل بهدوء في شئون حضرموت وتحقيق مصالحهم الاستعمارية[٢].

وقد استمد (انجرامس) الدعم الاقتصادي والسياسي لترسيخ هذه الهدنة من السادة العلويين في حضرموت حيث سهلوا مهمته وعملوا كل ما في وسعهم لاستمرارها وأصبحوا الوسيط الأساس بينه وبين القبائل والسلاطين[٣].

ومن أشهر العلويين الذين ساندوا (انجرامس) في هدنة السلام السيد أبوبكر ابن شيخ الكاف الذي أنفق (١٥٠,٠٠٠) ريال على ترتيبات هذه الهدنة[٤]، والدارس يرى أن هناك نوايا مخلصة إلى حد كبير من قبل السيد أبي بكر الكاف في إقرار السلام في حضرموت خصوصًا أنه أنفق (١٨٠,٠٠٠) ريال لشق طريق بري يربط حضرموت الساحل بالداخل، وأسهم في الكثير من الأعمال الخيرية الأخرى[٥]، كما لا توجد لديه مصالح اقتصادية حقيقية في حضرموت فهدنة

(١) صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. ص ٢١٢.
(٢) محمد سعيد داود. المرجع السابق. ص ٥٤.
(٣) سلمى سمر الدملوجي. المرجع السابق. ص ٨.
(٤) R. H. Smith. Notes on the Kathiri states Hadhramaut the middle east Journal. p 503.
(٥) محمد عبدالقادر بامطرف. الهجرة اليمنية. ص ٦١.

السلام لم تكن عملاً أخرجته عبقرية (انجرامس) إنما كان مطلبًا قبليًا وشعبيًا في ذلك الوقت، والدليل على ذلك عدم وجود المعارضة الكبيرة على هذه الهدنة، وكانت فرصة لتنفس القبائل الحضرمية الصعداء، وقد ذكر (فان در ميولين) عند زيارته لحضرموت عام **١٩٣١**م: "أن الناس أصبحوا مرهقين من الحرب ويتلهفون لتدخل قوة خارجية لتضع لهم ولمآسيهم نهاية، وذهب زعماء من القبائل إلى عدن لوضع حد لهذه الصراعات المستمرة، وانتظروا بلا جدوى"[(١)]. ومما ساعد على ترسيخ الهدنة الأوضاع الاقتصادية المتدهورة في حضرموت وبخاصة حالة القحط والجفاف التي انتابت حضرموت منذ بداية الحرب العالمية الثانية عام **١٩٣٩**م.

التزمت القبائل الحضرمية بهدنة السلام، أما القبائل التي لم تلتزم فإنها تكون عرضة لدفع التعويضات والغرامات وعرضة للقصف الجوي، وأعلن (انجرامس) بصورة وقحة أن القصف وسيلة طيبة حتى بالنسبة لتلك القبائل التي عانت منه، إذ إنه بعد قصفها بإمكانها الانضمام إلى اتفاقية السلام دون أن تبدو ذليلة في عيون أعدائها[(٢)].

وبعد انتهاء فترة الهدنة عام **١٩٤٠**م أعلن عن تمديدها لعشر سنوات أخرى وتمسك قسم كبير بها، ولم تحدث خروقات إلا بعض الاضطرابات الخفيفة[(٣)]، وهذا يؤكد أن هدنة السلام رغبة شعبية وقبلية أكثر منها إجراء رسميًا حكوميًا، وقد ساعدت هدنة السلام على اهتمام الناس بمصالحهم الاقتصادية وتحقيق بعض التحول في الوظيفة الاجتماعية لبعض المراتبيات فمثلاً أصبح أمام الفرد القبيلي فرصة للبحث عن عمل في المدينة مع الاستقرار فيها دون الحاجة إلى العودة السريعة إلى مناطق قبيلته، وعمل ببعض المهن التي كانت تعد في فترة

(١) D. Vander Mulen. Von Wissman. op. cit. p 114.
(٢) Ingrams. Peace in the Hadhramaut. op. cit. p 516.
(٣) صلاح البكري. حضرموت وعدن. ص ١٧٢

سابقة مشينة، وتحدث شاهد عيان عن التحولات التي لاحظها في أثناء هدنة السلام قائلاً: "في عهد السلطان صالح تواصل الناس، وتخالطوا، وتعارفوا، وتفاهموا، وتقاربت أفكارهم، وتزاوجوا، وتقاربت لغاتهم ولهجاتهم، وأزياؤهم ولباسهم، وانتشر التعليم في كل أرجاء حضرموت، واستلذ البدو والقبائل بالهدوء والأمان وعدم المشاغبات، فعلموا أبناءهم وبناتهم، وبدأوا يعرفون قدر الحضر واستطاع البدوي أن يؤدي صلاته في المسجد ويستمع إلى الخطبة في الصف الأول"[١].

ونخلص للقول إن هدنة السلام رغم الأهداف البريطانية الاستعمارية من ورائها المتمثلة في بسط نفوذها وسيطرتها على المنطقة، فإنها نفعت الحضارم أكثر مما أضرتهم، ولعل من المفيد هنا أن نذكر ما قاله الشعراء الشعبيون المعاصرون لهذه الهدنة فيقول الشاعر خميس الكندي المعارض للهدنة[٢]:

من ناحية ساد الأمن في ظل الجمود
ولكن المستعمر الغاصب بذل كل الجهود
كي يفرض نفوذه ومنانا بشي ماله وجود

أما الشاعر هادي عسكول المؤيد لهذه الهدنة فيقول:

معاد بي شغب من زانه وقرح الروم[٣]
ولعاد خصمي يراومنا ولا رومه
وسيل وادي عدم مربط برأس السوم
كل يطاول فزع لا ينكسر سومه[٤]

(١) أحمد عبدالقادر الملاحي. المرجع السابق. ص ٢٠١-٢٠٢.
(٢) أحمد عوض باوزير. الشعر الوطني العامي. ص ٢٣-٤١.
(٣) شغب: قلقل. قرح الروم: صوت انفجار الرصاص.
(٤) فزع: خاف.

الله يـخـلـيـك يـا مـهـلاب عـلـب الـدوم[١]
ظـلـل عـلـى الـنـاس وان نـاشـو حـلـق دومـه

يـا حـضـرمـوت ارقـدي وتـبـلـغـي فـي الـنـوم
لا صـاح صـايـح ولا خـايـف زعـل نـومـه[٢]

معاهدات الاستشارة:

مع نهاية العقد الثالث من هذا القرن بدأت الحكومة البريطانية في لندن تهتم بالتغيير والتحسين الإداري في المحميات حفاظًا على مصالحها في عدن، وبسبب الأزمات التي مر بها نظامها الاستعماري حينئذ، ونتيجة للمتغيرات الدولية والمحلية التي أثرت على وضع بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى[٣].

بدأ هذا التحول بإعلان عدن مستعمرة تاج وأصبحت تابعة عام **١٩٣٧**م إلى وزارة المستعمرات في لندن، أما المحميات فقد قسمت إلى محميات غربية ومحميات شرقية، وما من شك فإن هدف المتغيرات التي أحدثها البريطانيون في عدن والمحميات هو تقوية قبضتهم عليها، وتنفيذ ما كان يعرف بسياسة التقدم إلى الأمام في الأرياف، لهذا نجدهم يستبدلون نظام الاستشارة بنظام الحماية، وهو ذلك النظام الذي سمح لهم بنشر مستشاريهم في طول البلاد وعرضها الذين أصبحوا بعد هذا التاريخ الحكام الفعليين للمحميات[٤].

ويعد السلطان صالح بن غالب القعيطي أول حاكم في المحميات يوقع على معاهدة استشارة وذلك في **١٣** أغسطس **١٩٣٧**م[٥]، وطبقًا لنصوص هذه المعاهدة التزم السلطان القعيطي بقبول رأي المستشار البريطاني في جميع

(١) علب الدوم: شجرة النبق أو السدر.
(٢) زعل نومه: تقطع نومه.
(٣) مجموعة من المؤلفين السوفيت. المرجع السابق. ص ٧٠.
(٤) سلطان ناجي. التاريخ العسكري لليمن. ص ٩٢.
(٥) Reily Bernard. Aden and the Yemen. London. 1960. pp. 22- 23.

المسائل ماعدا تلك التي تمس الدين الإسلامي والعادات[١].

ويذكر حامد أبوبكر المحضار أن توقيع السلطان صالح القعيطي على هذه الاتفاقية جاء بعد مساومة بين السلطان صالح و(انجرامس) قبل بموجبها السلطان الاتفاقية مقابل حصوله على عدم ممانعة بريطانيا من تعيين ابنه عوض وليًا للعهد، وإبعاد ابن عمه الأمير محمد بن عمر، وذلك حسب وصية جده عوض بن عمر[٢].

ونحن لا نركن إلى هذا الرأي لأن السلطان صالح يدرك أنه لا يستطيع معارضة بريطانيا في سياستها الجديدة، ولكن أراد أن يستثمرها بدبلوماسية معينة تضمن ولاية العهد لابنه، ويثبت ولاءه الكبير لبريطانيا، وبريطانيا وافقت على هذا الشرط الذي لايضرها لا من قريب ولا من بعيد بل ينفعها، وذلك لتشجيعه على توقيع هذه الاتفاقية، وتشجيع بقية الحكام المحليين.

كما جرى توقيع معاهدة استشارة مماثلة مع سلاطين الدولة الكثيرية عام **١٩٣٩**م تضمنت الشروط نفسها، وقد كانت هذه المعاهدة شكلية ولم يكن تأخير توقيعها من قبل الكثيري يعني أي شيء لأن المستشار البريطاني (انجرامس) قد بدأ بممارسة صلاحياته على السلطنة الكثيرية منذ عام **١٩٣٧**م بموجب رسالة كان قد بعثها السلطان الكثيري يطلب فيها من (انجرامس) أن يصبح مستشاره[٣].

وبذلك أصبح (انجرامس) مستشارًا رسميًا للسلطنتين القعيطية والكثيرية، بالإضافة لوظيفته كمعتمد بريطانيا لمحمية عدن الشرقية كلها، وتركزت مقاليد الأمور كلها في حضرموت بيد (انجرامس). وعندما تأكدت بريطانيا من ولاء

---

(١) انظر نص المعاهدة في: سقاف علي الكاف. المرجع السابق. ص ١٥١-١٥٢.

(٢) حامد أبوبكر المحضار. المرجع السابق. ص ٢١٩ و
Ingrams. Arabia and the isles. op. cit. p 24.

(٣) Ingrams. Arabia and the isles. op. cit. p 26.

السلطان الكثيري لها كافأته بتوسيع حكمه وإزالة بعض جوانب الغبن الذي لحق بالسلطنة من معاهدة عدن عام ١٩١٨م، ففي عام ١٩٣٩م ضمت منطقة ساه للكثيريين ومنح السلطان الكثيري - كما ذكرنا - حق إصدار جوازات خاصة بسلطنته.

لقد كان عمر هذا التنفس قصيرًا وذلك لأن بريطانيا قد تدخلت في كل شئون حضرموت تدخلاً أرغم السلاطين على رفع أيديهم عن كل مقدراتها، فالفرق بين اتفاقية الحماية والاستشارة يكمن في أن اتفاقيات الحماية حددت صوريًا مسئولية بريطانيا على العلاقات الخارجية للإمارات، أما اتفاقيات الاستشارة فقد عززت انتقال بريطانيا من السيطرة البريطانية المقنعة إلى السيطرة المباشرة المعلنة، وفي واقع الحال فإن اتفاقية الاستشارة أعطت اتفاقيات الحماية بعدًا جديدًا، فهي لا تلغيها بل تكملها وتؤكدها(١).

وكان لهذه السياسة الجديدة أهداف محددة، فكانت ترمي إلى تدعيم سلطة الأمراء ونظام الحماية في آن واحد، وكانت من جانب آخر تلبي رغبات بريطانيا في القضاء على تطلعات كل من الإمامة في شمال اليمن، والسعودية في الوصول إلى شاطئ المحيط الهندي(٢).

وبالنسبة لردود الفعل الحضرمية الشعبية تجاه معاهدات الاستشارة نلاحظها في ما قاله الشعراء الشعبيون فالشاعر الشعبي العطيشي يقول:

ذا فصل والثاني وقع شي ذا السنة ما بعد وقع(٣)
جابوا معلم يعرف المبنى وتعقيد القبال(٤)

ويرد الشاعر سعيد بن سالم زحفان قائلاً:

---

(١) مجموعة من المؤلفين السوفيت. المرجع السابق. ص ٦٩.
(٢) محمد عمر الحبشي. المرجع السابق. ص ٣٤-٣٥.
(٣) ذا فصل: مبدأ القول. وقع شي: حصل شيء.
(٤) جابوا: أحضروا. تعقيد القبال: أي رص خشب أسقف المنازل.

هيا عسى هذا المعلم لا يقع فينا طمع
يشل خط الدار يتملك ويحكم بالزوال

ريت الديانة فيه ياريت الورع عاده ورع
يؤدي الخمسة ويذكر سيدنا مولى بلال[١]

شبه الشاعران العطيشي وزحفان المستشار البريطاني المقيم بـ(المعلّم) أي (البنَّاء) الذي يجيد فن البناء، وبينما العطيشي يبدي استغرابه من هذا الحدث الغريب على المجتمع؛ فإننا نلاحظ زحفان يظهر خشيته من أن يقوم هذا المعلم الغريب باحتلال الدار أي الوطن ويطرد ساكنيه.

وإذا كانت أشعار العطيشي وزحفان عبارة عن توجسات خائفة، فإننا نلاحظ في أبيات الشاعر الشعبي الحضرمي المهاجر في الهند وهو صلاح بن أحمد لحمدي القعيطي شعورًا بالمرارة من هذه الاتفاقية التي أفقدت حضرموت ماتبقى من سيادتها ومما قال:

قالوا جهة لحقاق لحمه فاس سرحت بالبرود
سرحت مع الصاحب بلا قيمة ولا سلم نقود
آه على الأوطان يا غبني على مثوى الجدود
وين الذي قالوا حميناها بأسرار الجدود[٢]
هم حضروا البيعة وهم وقعوا على البيعة شهود

وقد أقامت هذه القصيدة حضرموت وأقعدتها، واحتوت على الكثير من الأبيات التحريضية للقبائل ضد هذه الاتفاقية وللتقليل من تأثير هذه القصيدة المعبرة أوعز (انجرامس) إلى المؤرخ محمد بن هاشم للرد عليها ومما قاله

(١) أحمد عوض باوزير. الشعر الوطني العامي. ص ٢٠.
(٢) وين: أين، ويعني هنا السادة العلويين.

مدافعًا عن (انجرامس)، والكاف، ومبينًا أفضلية الأوضاع الحالية على ما كانت عليه سابقًا:

بن لحمدي شيخ القبيلة ذي عمد بارض الهنود
مشتق من السيل الذي عم التهائم والنجود
رحمه بها وادي العجل يرقص وينعش بالبرود
كثرت بها الأفراح وارتاحت حسينات القدود
ولى العنا زال البلا والحق قائم عالعمود
دانت وزانت لرض من نجران لما قبر هود
يحيا انجرامس ذي جبال الأرض في خوفه تنود
بالهيبه اصلحها بلا صوله ولا عسكر يقود
أحيا الشريعه وانتصر للحق والشر له يذود
والكاف بوسقاف ذي جاب الجميله له يسود
كاتب وخاطب وأمست الفتنه بسعيه في خمود[١]

عندما قرر البريطانيون تنفيذ سياستهم الجديدة في حضرموت بموجب معاهدة الاستشارة وجدوا أمامهم قوة مسلحة لا بأس بها كان عليهم تدعيمها وإعادة تنظيمها على أسس جديدة تستطيع أن تخدم أغراضهم وتوسع من سلطنة الحكام المحليين بالذات في المناطق القبلية[٢]. مثل جيش المكلا النظامي، والشرطة المسلحة، والشرطة الكثيرية المسلحة[٣].

(١) عبدالخالق البطاطي. المرجع السابق. ص ١٠٣-١٠٤.
(٢) سلطان ناجي. المرجع السابق. ص ٩٣.
(٣) انظر نظام الحكم في سلطنتي حضرموت من هذا الفصل.

أما جيش البادية الحضرمي، فقد تم إنشاؤه في أواخر عام **١٩٣٩**م وكان منذ تأسيسه تابعًا للمستشار البريطاني ويعد جزءًا من قوات ملك بريطانيا[١].

وكان (هارولد انجرامس) صاحب مشروع هذا الجيش وقد شرح الأهداف الرئيسة وراء تكوينه وقال: " كان واضحًا أن البلاد إذا ما أرادت أن تسير في طريق التجمع والتماسك وتحقيق الأمن والإدارة المنظمة والعدالة المقبولة فإن السلطنتين لن تتمكنا من إدارة مواردهما فقد كانت قوات أمنهما مشغولة كلية بحفظ النظام في طرق المناطق السهلة والقريبة، وعليه فقد اقترحت إنشاء قوة بدوية لتأمين المناطق النائية "[٢] أما تدريب هذا الجيش فقد تم على نمط جيش البادية التابع لإمارة شرق الأردن الذي أنشأه الضابط جلوب باشا[٣]. وقد استفاد (انجرامس) من خبرة الإنجليز في شرق الأردن في مد سيطرتهم على رجال البادية هناك، وحتى لا يثير تخوف أهالي البادية في حضرموت، جعل (انجرامس) ضباط الجيش من العرب الأردنيين، أو الهنود المسلمين ذوي الأصول الحضرمية، وبذلك حقق أهداف حكومته بوسائل مقنعة[٤].

أما جنود هذا الجيش فيتكونون من معظم القبائل الحضرمية ولم تقتصر مهام هذا الجيش في حفظ الأمن في المحمية الشرقية، والمرابطة في مراكز الحدود، وإنما استخدم أيضًا كوسيلة لإقامة العلاقات والاتصالات مع القبائل البدوية، وذلك للحصول على ولائهم للسلاطين[٥].

وكانت رواتب جنود جيش البادية الحضرمي مرتفعة مقارنة برواتب جنود القوات العسكرية الأخرى، وذلك لضمان ولاء هذا الجيش للسلطات

(١) سلطان ناجي. المرجع السابق. ص ١٧٠.
(٢) سلطان ناجي. المرجع السابق. ص ١٧٠.
(٣) محمد عبدالكريم عكاشة. من أعمال الندوة التاريخية. ص ١٨٢.
(٤) سلطان ناجي. المرجع السابق. ص ١٧٢.
(٥) صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. ص ٢٢٣.

البريطانية[١]، وقد انتشرت حصون هذا الجيش ومراكزه لتغطي مناطق متفرقة من حضرموت، وأصبح هذا الجيش هو القوة الرئيسة في منطقة حضرموت والمهرة، بل القوة المتميزة في الجنوب اليمني، وارتبطت بشئونه مؤسسات تربوية خاصة بالقبائل والبدو الرحل[٢].

مدى السيطرة البريطانية في حضرموت:

لم تشهد حضرموت الحكم الاستعماري المباشر بصفته سلطة رسمية محتلة، ولكنها تُحكم بوساطة سلاطين يملي عليهم الاستعمار ما يريد، فحضرموت لم تكن كعدن محمية ثم مستعمرة تحكم مباشرة من الهند أو لندن. وكانت المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع حكام حضرموت وبخاصة معاهدة الاستشارة جعلت من هؤلاء الحكام وكأنهم موظفون تابعون لها ومحققون لإرادتها الاستعمارية.

والحقيقة أن أول المستشارين البريطانيين لحضرموت وهو (هارولد انجرامس) (١٩٣٧-١٩٤٤م) لم يلق أي عناء في إملاء ماتراه بريطانيا مناسبًا على هؤلاء الحكام، وانغمس (انجرامس) في إدارة شئون البلاد الداخلية، والتحكم في أوضاعها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية بما يتفق والمصالح البريطانية[٣].

ويصف (انجرامس) السلطانين القعيطي والكثيري عند وصوله إلى مركز عمله في حضرموت عام ١٩٣٦م أنهم كانوا رجالاً ضعفاء وأنهم ولهذا السبب كانوا يقومون بالتوقيع والموافقة على أي شيء قد يطلبه منهم، ويتظاهر في الوقت نفسه لجعل المبادرة تبدو كأنها صادرة عنهم[٤].

ويتضح مدى سيطرة (انجرامس) على مقاليد الأمور حتى أن حضرموت

---

(١) محمد عبدالكريم عكاشة. من أعمال الندوة التاريخية. ص ١٨٢.
(٢) سلطان ناجي. المرجع السابق. ص ١٧٢.
(٣) Ingarms. Arabia and the isles. op. cit. p 17.
(٤) سلمى سمر الدملوجي. المرجع السابق. ص ٩.

أصبحت تسمى لدى العامة (دولة انجرامس) وبلهجتهم (دولة يرامس) كما أصبح يلقب (بالدولة) لدي عامة الناس، وذكر (انجرامس) أنه عُرض عليه من قبل شخصيات بارزة في حضرموت، أن يكون سلطانًا على حضرموت، أو تحويل حضرموت إلى مستعمرة بريطانية على غرار مستعمرة سنغافورا[١]. وعلى اعتبار صحة هذا القول فإننا يمكن أن نعده على سبيل المجاملة والتزلف وذلك لسببين: الأول أن (انجرامس) كان - فعلاً - حاكمًا غير متوج على حضرموت، ووضعيته غير المباشرة في الحكم تعزز من سيطرته. وثانيه: أن بريطانيا بوصفها دولة استعمارية عريقة كانت ترى أن أسلوب الاحتلال العسكري المباشر - باستثناء المواقع الاستراتيجية - يمكن أن يسبب لها الكثير من المشاكل، وكانت ترى أن أفضل وسيلة لبقائها أطول مدة ممكنة كدولة استعمارية يكمن في تحويل الحكام المحليين إلى ركائز لها، وتعزيزًا لذلك فهي تربطهم باتفاقيات تختلف شدتها باختلاف الظروف المحلية والدولية.

وكان (انجرامس) ينتمي إلى المدرسة الاستعمارية التي ترى أن من مصلحة بريطانيا أن تكون ممسكة بالخيوط من وراء الستار، وتترك للعرب أن يديروا أنفسهم لوحدهم ظاهريًا، وبمساعدة خبراء شرقيين من مناطق نفوذهم الأخرى[٢].

وانطلاقًا من هذه السياسة اعتمد (انجرامس) في إصلاحاته الإدارية في حضرموت على عناصر عربية، أو هندية وقلدهم مناصب إدارية وعسكرية مهمة وبخاصةً في السلطنة القعيطية. وفي أثناء المجاعة التي شهدتها حضرموت في فترة الحرب العالمية الثانية ارتفع عدد الضباط البريطانيين إلى ثمانية وعندما شعر (انجرامس) بعدم ارتياح الأهالي لهذا الوجود الأوروبي قلص هذا العدد[٣].

---

(١) Ingarms. Arabia and the isles. op. cit. p 17.
(٢) سلطان ناجي. المرجع السابق. ص ١٧٢.
(٣) صلاح البكري. حضرموت وعدن. ص ١٧٨.

لقد انصرفت جهود (انجرامس) ومساعديه إلى تطوير الجهاز الإداري القائم بدلاً من أن تنصرف إلى استبدال مؤسسات على الطراز الحديث بالجهاز الإداري القائم ولكن بمقارنة المؤسسات الحكومية والإدارية التي ظهرت في بقية المحميات نجد أن المؤسسات في السلطنتين القعيطية والكثيرية كانت أكثر تطورًا[١].

❁❁❁❁❁

(١) محمد عمر الحبشي. المرجع السابق. ص ٤٥ وانظر
R. H. Smith. op. cit. p 499.

رابعًا: نظام الحكم في السلطنتين القعيطية والكثيرية

١- السلطنة القعيطية سياسيًا وإداريًا:

مجلس الدولة القعيطية:

ويمثل هذا المجلس الهيئة الاستشارية العليا والمرجع لكل الشئون وجميع القضايا ومصدر القوانين[١]، ويتألف من السلطان رئيسًا، وولي العهد نائبًا للرئيس، والمستشار البريطاني، ووزير السلطنة، والسكرتير الحربي، والمستشار القضائي، ومدير المالية، ورئيس الجمارك، وعضوين من التجار[٢].

وصدر قانون بإنشائه عام **١٣٩٥**هـ/ **١٩٤٠**م وحدد القانون واجبات هذا المجلس واختصاصاته وصلاحيته[٣].

ثم أدخل السلطان صالح القعيطي بعض التعديلات الطفيفة في قانون مجلس الدولة وذلك بإصدار القانون المسمى (قانون تعديل قانون مجلس الدولة رقم (٤) لعام **١٣١٦**هـ/ **١٩٤٣**م) وأبرز ما جاء فيه تعديل لفظة وزير السلطنة إلى سكرتير السلطنة[٤].

وكانت صيغة قسم أعضاء مجلس الدولة على النحو الآتي:

«... حيث إنني عينت عضوًا في مجلس الدولة أؤكد وأصرح هنا بكل خشوع، أنني من دون خوف أو مجاملة وبجهد طاقتي أشير إلى صاحب السمو في جميع الأمور التي تطلب فيها مشورتي، ولن أبوح سواء بطريقة مباشرة بأي

---

(١) صحيفة الأخبار. (لسان حال الحكومة القعيطية) ١٨ رمضان ١٣٧٢هـ/ ٣١ مايو ١٩٥٣م، ص١.

(٢) فتاة الجزيرة. العدد (٣٠٢)، السنة السادسة، ٣٠ ديسمبر ١٩٤٥م، ص ٦.

(٣) صحيفة الأخبار. ١٨ رمضان ١٣٧٢هـ/ ٣١ مايو ١٩٥٣م. ص ١.

(٤) من ضمن ملاحق دستور جيش المكلا النظامي. ص ١٩ وأعيد اللقب إلى (وزير) سنة ١٩٥٣م. انظر أحمد عبدالقادر الملاحي. المرجع السابق. ص ٩٣.

أمر أمعن أو حصل التباحث فيه في المجلس إلا بإذن، ساعدني ياألله»[١].

ومن بين أعضاء مجلس الدولة تتكون الحكومة القعيطية مع بقية الإدارات الأخرى، والسلطان هو الذي يعين السكرتير والنواب ومن دونهم من الرؤساء ولم يكن هناك نظام يحدد فترة معينة لحكم السكرتير أو النائب[٢]. وهكذا فإن الجهاز الإداري مركب تركيبًا هرميًا، قاعدته صغار الموظفين في الألوية وقمته السلطان وسكرتير الدولة.

والجهاز الحكومي تطور تدريجيًا حتى تشكلت عدد من الدوائر الحكومية مثل إدارة المعارف، وإدارة الأشغال العامة، وإدارة الهجرة والجوازات، وإدارة الجمارك، وإدارة البرق والبريد، وإدارة الصحة، ويرأس كل إدارة موظف برتبة ناظر الإدارة، وكان الإشراف العام على هذه الدوائر من قبل سكرتير الدولة[٣].

وكذلك تطور الجهاز الوظيفي، ففي سنة **١٩٣٤**م كان الموظفون في المكلا، الوزير، وأمين المالية، وقائد القوات، وطبيبًا، وعددًا قليلاً جدًا من المعلمين، وفي سنة **١٩٤٢**م تضاعف عدد الموظفين منهم (**١٩**) موظفًا أجنبيًا[٤].

ألوية الدولة القعيطية:

قُسمت الدولة إداريًا كما جاء في دستورها المطبوع في **١٨** إبريل **١٩٤٠**م إلى خمسة ألوية وهي[٥]:

١- لواء المكلا **٢**- لواء الشحر **٣**- لواء دوعن **٤**- لواء حجر **٥**- لواء شبام.

لواء المكلا وهي العاصمة وأكبر ميناء بحضرموت، ويمتد لواء المكلا على

(١) صحيفة الأخبار. المرجع السابق. ص ٢.
(٢) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني، ص ٨٥.
(٣) فتاة الجزيرة. العدد (٣٠٢)، السنة السادسة، ٣٠ ديسمبر، ١٩٤٥م، ص ٦.
(٤) صلاح البكري. حضرموت وعدن. ص ١٧٦.
(٥) المرجع نفسه. ص ١٧٣.

الساحل من المعينة شرقًا إلى حدود حجر[١]، ويشمل مقاطعات غيل باوزير، وشحير، وروكب، والحرشيات، وفوة، وبروم، وتسكن في هذا اللواء قبائل العوابثة، والعكابرة، والمحمديين، وآل الحيق، والشعاملة، والعصارنة، والحامديين، وآل البهيش[٢].

لواء الشحر ويقع لواء الشحر على طول الساحل من نهاية حدود جبل دمخ حساي على الساحل شرقًا إلى وادي المعينة غربًا، وتتبع هذا اللواء مدن وقرى المعيان، وتباله، والحامي، والديس، وقصيعر، وريدة عبدالودود، ويحتضن لواء الشحر قبائل ثعين، والحموم، والقرزي، والشعاملة، والمسيلين، ويافع.

لواء دوعن ويشمل وادي دوعن الأيمن والأيسر إلى المشهد، ووادي عمر، ووادي العين، وجميع مدن وقرى تلك الوديان، وأهم القبائل التي تسكن فيه الزي السيباني، والعمودي، ونوح، والخنابشة، والحالكة، وآل محفوظ، وآل لسود، والدين، والمشاجرة، والقثمي، والحامدي، ويافع، والجعدة، وآل ماضي، وآل باتيس، وآل باصليب، والعوابثة.

لواء حجر أغنى منطقة جيولوجية في حضرموت، وأغزرها ماءً ويشمل وادي حجر بمدنه وقراه وتسكنه قبائل نوح، وبن دغار، وبلبحيث، وباقطمي، والسموح.

لواء شبام ويشمل المدن والقرى الواقعة من المشهد إلى شبام شرقًا، وإلى حصن الغر غربًا، ويضم المقاطعات الآتية: هينن، حوره، الريضه، عينات، وأهم القبائل التي تسكن هذا اللواء: نهد، والكرب، وقبائل دهر ورخية وعرما، والصيعر، وآل حريز، ويافع، وآل مخاشن، وآل التميم، والمناهيل.

ويعين لكل لواء موظف برتبة نائب ولكل مقاطعة موظف برتبة قائم، والنائب

---

(١) سعيد عوض باوزير. معالم تاريخ الجزيرة العربية. ص ٢٢٠.
(٢) صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. ص ٢١٣ وما بعدها.

يمثل السلطان في لوائه، في البداية لا يوجد نظام محدد لتعيين النواب، ثم حاول سكرتير الدولة الشيخ سيف بن علي البوعلي أن يؤهل النواب والقوام بما يشبه الدورة العملية وذلك بتكليفهم بالعمل في محكمة السوق الجزئية والمحكمة الابتدائية بالمكلا وذلك بعد تلقي التعليمات والإجراءات المدنية والجنائية[١].

السلاطين القعيطيون وولاية العهد:

امتد حكم الأسرة القعيطية حتى سقوطها عام **١٩٦٧**م في أبناء وأحفاد السلطان عوض بن عمر القعيطي، وذلك بعد أن تخلص السلطان عوض بن عمر من أهم منافسيه، وهما حسين ومنصور أبناء أخيه عبدالله بن عمر وذلك بمساعدة الحكومة البريطانية[٢]. وقد حاول السلطان عوض بن عمر تجنيب أبنائه وأحفاده الصراع على الحكم وذلك بوضع وصية نظم فيها كيفية الحكم وولاية العهد بحيث تنحصر في ابنيه غالب وعمر وأبنائهما وأحفادهما بالتناوب، وعندما يكون السلطان مقيمًا في المكلا يكون ولي العهد في الشحر والعكس[٣].

وبعد وفاة غالب بن عوض كان المقرر والمعترف به أخاه عمر بن عوض وكان كل من عمر بن عوض وصالح بن غالب في حيدر أباد بالهند، فقام الوزير حسين بن حامد المحضار بالاتصال سرًا بالسلطان صالح لأن علاقته لم تكن جيدة مع ولي العهد السلطان عمر[٤]، وعندما علم السلطان عمر بخروج ابن أخيه إلى حضرموت أدرك خطورة خروجه في هذا التوقيت فأسرع باللحاق به ولكن صالح القعيطي وصل قبل عمه إلى المكلا وبدأ على الفور بجمع يافع والأعيان وطالبهم بالاعتراف به سلطانًا بعد والده، ولكن عمه السلطان عمر كان قد أرسل قبل وصوله عددًا من الرسائل إلى الأعيان يخبرهم فيها بقدومه، وأمام

(١) فتاة الجزيرة. العدد (٢٤٣)، السنة الخامسة، ٢٢ أكتوبر ١٩٤٤م، ص ١٠.
(٢) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٢٢٠.
(٣) حامد أبوبكر المحضار. المرجع السابق. ص ٥٤-٥٩.
(٤) عبدالخالق البطاطي. المرجع السابق. ص ٥١.

ضعف موقف السلطان صالح بدأ وزير السلطنة حسين بن حامد المحضار باتجاه حل وسط بحيث يقر السلطان صالح بحكم عمه، ويقر السلطان عمر بولاية العهد من بعده له، ثم يكون لمحمد بن عمر القعيطي، ثم لابن السلطان صالح (عوض) حسب وصية جدهما السلطان عوض بن عمر.

وقد قام السلطان عمر بعد توليه الحكم بإجراءات حدت من تصرفات وزيره المحضار، ثم دب الخلاف بينهما بشكل كبير إلى حد تدبير المكائد ضد بعضها البعض، ويذكر عبدالخالق البطاطي، أن الوزير المحضار، قام بتشجيع الاضطرابات في ساحل حضرموت خاصةً من قبائل الحموم، وفي مناطق قبائل الديّن ليخلق حالة من عدم الاستقرار في الدولة، ويشوه فترة حكم السلطان عمر[١].

من ذلك ما قام به من تجهيز حملة عسكرية لإلقاء القبض على السيد محمد ابن عمر باعقيل الذي أعلن تمرده على السلطنة، وحاول أن يؤسس لنفسه مركزًا خاصًا في قيدون بالاعتماد على قبائل الديّن والمال الذي معه. وكان عدد أفراد الحملة القعيطية (**٢٤٠٠**) مقاتل، ورغم استبسال الديّن، وسقوط عشرين قتيلاً من الجنود القعيطيين، إلا أن الديّن رضخوا في تسليم باعقيل بعد أن وعدوا بمكافأة مالية[٢]، وبعد التسيلم قال المحضار:

حيا وسهلا بالمناصب والدول وزد بيافع يوم جابوا باعقيل
لي هو يفر من جبل لما جبل ما حسب انابا نجيبه بالصميل[٣]

وقال أيضًا:

حياكم يلي قضيتم شفكم بالسيف والقوة وطرت الحزين

(١) عبدالخالق البطاطي. المرجع السابق. ص ٦٦-٦٧.
(٢) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف. إدام القوت، أومعجم بلدان حضرموت، ص ١٠٨.
(٣) عبدالخالق البطاطي. المرجع السابق. ص ٦٣، وصلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني، ص ٤٨.

ما الديني يشل الحمولة مثقلة كنا طرحها بعد ذلك يا هوين

فأجابه أحمد عبيد بن مسلم بن ماضي:

لولا قروشك لي معك قدمتها جيشك رجع مكسور ياسيد حسين

ولولا الوعود المربعية شفتها عيال يافع في المقابر من ثنين[١]

وقد تفاقمت الصراعات بين المحضار والسلطان عمر، وانتقلت إلى انقسام يافع والحاشية على فريقين، وأمام خشية الوزير المحضار من أن يخسر منصبه من هذا الصراع أرسل إلى السلطان صالح بحيدر أباد بالهند بالحضور، والمطالبة بالسلطنة، وانتهى أمر هذا الصراع بأن وافق السلطان عمر بتفويض ابن أخيه السلطان صالح بإدارة أمور السلطنة[٢].

وقد دفع الوزير حسين بن حامد المحضار ثمنًا لهذه المناورات السياسية بأن توفي مسمومًا في عهد السلطان عمر[٣].

وبعد وفاة السلطان عمر القعيطي بحيدر أباد ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م[٤]. اعتلى الحكم السلطان صالح بن غالب وبدأ يخطط في إحداث انقلاب على شكل الحكم القعيطي المحدد بوصية السلطان عوض بن عمر، وتتمثل هذه الخطة في التخلص من تعهداته لعمه السلطان عمر، والعمل على تعيين ابنه عوض وليًا للعهد، وكان السلطان صالح يدرك أن ذلك لن يأتي إلا بموافقة بريطانيا. وقد سبق أن تحدثنا عن هذه المساومة بين السلطان صالح و(انجرامس) ولأهمية هذه المساومة سنوردها هنا وذلك حسب رواية (انجرامس): " في ١٧ إبريل ذهبت إلى عدن حيث كان وصول السلطان منتظرًا في يوم ١٤ في طريقه إلى لندن لحضور تتويج الملك (جورج السادس)، وصعدت إلى الباخرة حيث كتب لي

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف. المرجع السابق. ص ١٠٨.
(٢) عبدالخالق البطاطي. المرجع السابق. ص ٦٧.
(٣) أحمد عبدالقادر الملاحي. المرجع السابق. ص ٢١١.
(٤) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني، ص ٧٩.

السلطان ورقة صغيرة بعزل الولد حامد المحضار، ولكن اتضح بعد ذلك بقليل أن هدفه الرئيس كان فسخ وصية جده، وضمان الموافقة على أن يخلفه ابنه عوض، وأخبرت السلطان أنه مما يؤسف له أنه لم يقبل باقتراح تعييني مستشارًا له، فأجاب بأن ذلك سيجعل المستشار سلطانًا وسيجعله لا شيء، فسألته إذا كان يعتقد أنني قد عاملته بهذه المعاملة فأجاب بحماسة إنني لم أفعل، وقال إنه شاكر لما فعلته، وإنه سيسر لو أكون مستشاره وأكد لي، أنه لن يتردد في قبول الفكرة لو حققت رغباته المتعلقة بالخلافة"[١].

وعندما تمت الصفقة أصدر السلطان صالح مرسومًا جعل فيه ولاية العهد لابنه عوض، وذلك في (٢٨ سبتمبر ١٩٣٧م)، وفي هذا المرسوم حرص السلطان صالح على أن يذكر موافقة السلطات البريطانية لهذا التعيين، وذلك لإغلاق أي محاولة لرفض هذا المرسوم[٢].

سكرتارية السلطنة (الوزارة):

مثّلَ سكرتير أو وزير السلطنة القعيطية حجر الزاوية في نظام الحكم القعيطي، وذلك لأن معظم السلاطين القعيطيين غالبًا ما يكونون مقيمين في حيدر أباد بالهند، وكان أول هؤلاء الوزراء وأهمهم حسين بن حامد المحضار الذي تولى الوزارة لمدة (٢٥) عامًا من عام (١٩٠٢-١٩٢٧م) عندما توفي[٣]. وبذلك يكون أطول وزير امتدت وزارته في السلطنة القعيطية، وعاصر السلاطين عوض بن عمر وابنيه غالب، وعمر. وفي عهد السلطان غالب علا مركزه واتسع نطاق نفوذه بحيث أصبح (الكل في الكل)، ويتصرف في شئون السلطنة كما يشاء[٤].

---

(١) Ingrams. Arabia and the isles. op. cit. p 24.
(٢) انظر نص المرسوم في: صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. ص ٢٠٦-٢٠٧.
(٣) حامد أبوبكر المحضار. المرجع السابق. ص ١.
(٤) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٢٨.

وفي عهد السلطان عمر دخل الوزير المحضار في صراع خفي ومعلن معه وما كان بإمكان السلطان عمر عزله، وذلك نتيجة لتأييد السلطات الاستعمارية له، واعتمادها عليه لحنكته ودهائه، إضافة إلى ذلك كانت المدة الطويلة التي قضاها المحضار في الوزارة ساعدته في تعزيز نفوذه، وكسب مراكز القوى في السلطنة حتى من يافع وهي قبيلة السلطان[١].

ثم تولى الوزارة بعده ابنه أبوبكر بن حسين المحضار (١٩٢٧-١٩٣٤م) الذي كان مهتمًا بالتجارة[٢]، ولم يكن في مستوى والده من الدهاء، وعندما قدم الوزير استقالته أراد السلطان عمر أن يقبلها منه بالطريقة التي اختارها، وتتمثل في أن السلطان عمر استدرج الوزير ليرافقه إلى عدن، وفيها اقترح عليه استقدام ابنه حامد، وصديقه أحمد بن ناصر البطاطي من المكلا، ثم أقنعهم بالذهاب إلى الحج، وفي الباخرة قبِلَ استقالة الوزير أبوبكر المحضار، وقد علّق حامد أبوبكر المحضار على هذه الاستقالة وقبولها، وقال: "إن استقالة الوالد كانت أمنية السلطان، وإن استجابة السلطان كانت أمنية الوالد"[٣].

والدارس لا يركن إلى اعتبار الاستقالة مجرد أماني للسلطان والوزير، وإنما عمل سياسي مخطط ومدروس من قبل السلطان عمر بحيث يكون قبول الاستقالة في مكان معزول يصعب فيها اتصال الوزير بأي جهة، وزيادة في الاحتياط استقدم السلطان عمر كل من أحمد بن ناصر البطاطي، وهو شخصية مهمة ومؤثرة في يافع، ومقرب من الوزير المحضار، وكذلك حامد أبوبكر المحضار ابن الوزير، وهذا بمنزلة تحديد إقامة مؤقتة يضمن بها السلطان عملية قبول الاستقالة بدون مشاكل أو عراقيل.

ثم عين السلطان عمر بن عوض القعيطي للوزارة أميرًا من القعيطيين وهو سالم

(١) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف. المرجع السابق. ص ٦٣.
(٢) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ٧٦.
(٣) حامد أبوبكر المحضار. المرجع السابق. ص ٩٥.

ابن أحمد القعيطي الذي لم يستمر طويلاً، فبعد أن تولى السلطان صالح الحكم حدثت استبدالات في موظفي الدولة بوصفهم يمثلون عهد السلطان عمر[١]، ومن هؤلاء الوزير سالم بن أحمد القعيطي، وعين بدلاً عنه أحد المتضررين من عهد السلطان عمر، وهو السيد حامد أبوبكر المحضار، وكانت فترة وزارته قصيرة امتدت من عام (١٩٣٥-١٩٣٧م) ويعد عزله جزءًا من المساومة المذكورة حول ولاية العهد، وقبول نظام الاستشارة بين السلطان صالح و(انجرامس)، ويعزو حامد المحضار أسباب عزله إلى تعاونه مع بعثة مصرية زارت السلطنة القعيطية، وطلب منها مساعدة تعليمية، ويرى أن اتصاله المباشر مع المصريين ربما أثار حفيظة الإنجليز[٢]. ورغم معقولية التبرير إلا أننا نرى، أن قرار العزل جاء متمشيًا مع التغيرات السياسية الجديدة، والمخطط لها في المنطقة، والقائمة على أساس التدخل المباشر في شئون المحميات، ومتمشية أيضًا مع أسلوب (انجرامس) في اعتماده على إسناد الوظائف المهمة في الدولة إلى عناصر غير حضرمية عربية وأجنبية، يضمن ولاءها وعدم معارضتها له، ومن هؤلاء الأجانب الذين تولوا الوزارة الشيخ سيف بن علي البوعلي، بترشيح من (انجرامس)، وهو من أصل عماني، وكان يشغل وظيفة رسمية في حكومة زنجبار، وقد مكث في منصب الوزارة اثني عشر عامًا من عام (١٩٣٩-١٩٥٠م) كسب خلالها ثقة السلطان صالح[٣].

المؤسسات العسكرية للسلطنة القعيطية:

تطورت المؤسسات العسكرية للسلطنة القعيطية مع حالات التطور التي شهدتها بقية مؤسسات الدولة، فكان جيش السلطنة مكونًا من رجال يافع وهم الأغلبية، وآل تميم، والعبيد، وبعض الهنود، ويلقبون بالرويلة[٤]. وفي بداية

(١) عبدالخالق البطاطي. المرجع السابق. ص ٨٨.
(٢) حامد أبوبكر المحضار. المرجع السابق. ص ٢٧٤.
(٣) أحمد عوض باوزير. شهداء القصر. ص ٦١-٦٢.
(٤) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. ص ٨٧.

الثلاثينيات قدر عدد القوات القعيطية في وقت السلم بخمسة آلاف جندي[١]. وكان للجيش رؤساء يقال لهم المقادمة، ومرتب الجندي يتراوح مابين ٥-١٠ ريالات في الشهر كانت تدفع لمقادمة القبائل[٢]، وفي عهد السلطان عمر ألغي دفع رواتب الجنود بوساطة المقادمة، وقرر تسليم كل جندي راتبه بيده[٣].

والمؤسسات العسكرية في السلطنة هي:

جيش المكلا النظامي:

كان جيش المكلا النظامي قبل إعادة تنظيمه في عام (١٩٣٦م) يتبع الأسس الهندية في تنظيم الجيوش، كان في البداية أشبه بجماعات قبلية متحدة متماسكة، وكان الهدف من إعادة تنظيمه، ليكون احتياطيًا للقوة البوليسية العادية للسلطنة في حالات الطوارئ، والاضطرابات الخطرة[٤].

وكانت الخطوة الأولى في تحديثه تكمن في كيفية التخلص من العناصر الرافضة للأنظمة العسكرية الحديثة من كبار السن، والأفراد الذين لهم وظائف مدنية أخرى والعبيد؛ وكانت الإجراءات الأولى التي قام بها (انجرامس) هي رفع رواتب المقادمة إلى ٣٠ ريالاً، وذلك ليضمن عدم معارضتهم للأنظمة الحديثة، وبالنسبة للجنود أعلن عن دعوتهم للخروج في مهام خارج مناطق سكنهم، فتأخر عدد كبير منهم، وبخاصة كبار السن، فاضطروا إلى الاعتذار، وتقديم استقالاتهم. أما العبيد الذين كانوا القوة العسكرية الثانية بعد يافع في السلطنة، فقد خيرهم السلطان صالح في أن يتحولوا إلى جنود نظاميين برواتب شهرية محددة، أو يصرف لهم قطعة من الأرض الزراعية في ميفع تكون لهم كنوع من التعويض عن سنوات الخدمة مع السلطنة، فرفض قسم كبير هذه

(١) D. Vander Mulen, Von wissman. op. cit. p 71.
(٢) صلاح البكري. المرجع السابق. ص ٨٧.
(٣) حامد أبوبكر المحضار. المرجع السابق. ص ٨٠.
(٤) سلطان ناجي. التاريخ العسكري لليمن. ص ١٦٤.

الحلول، وسيطروا على بعض الحصون في المكلا، والشحر كنوع من التمرد والعصيان، ولكن تمكنت السلطنة من احتواء هذ التمرد، واضطر البعض منهم لقبول الدخول في الجندية مقابل راتب شهري[١]، ثم سُمح للانخراط في هذا الجيش من مختلف قبائل حضرموت، ولاشك أن هذه الخطوة خدمت مسألة تحديث نظام الحكم في السلطنة، وساعدت على دمج عناصر المجتمع الأخرى في الدولة بعد أن كانت تعتمد على الولاء القبلي اليافعي، وتبعية العبيد للسلاطين.

وقد استخدم هذا الجيش في ضرب القبائل التي لم تقبل بسهولة تجريدها من السلاح، والدخول تحت طاعة السلطنة القعيطية، وخاصةً ضد قبيلة الحموم وبن عبدات في الغرفة. وقد أصدر السلطان صالح في (٧/ ٧/ ١٩٤٢م) دستورًا لجيش المكلا النظامي حوى الكثير من المواد التي تنظم كيفية الترقيات، والطرد من الخدمة، وجملة من القضايا التي تتعلق بمسألة هذا الجيش، وواجبات، وحقوق المنتسبين فيه[٢].

الشرطة القعيطية المسلحة الجندرمة:

كان الجنود غير النظاميين من يافع، وعبيد السلطان هم الذين يقومون بحراسة المدن، وكانوا كثيرًا ما يسببون المشاكل. وقد أوكل (انجرامس) لمساعده (فيجس) مسألة تنظيم هذه القوة، فتخلص من عدد كبير منهم، ونظم الباقين في قوة سميت بالشرطة القعيطية المسلحة التي كانت مهمتها محصورة في حراسة المدن الداخلية[٣].

وكان تدريب القوات العسكرية في حضرموت يتم تحت توجيه المساعد العسكري للمستشار البريطاني. ووجدت في المكلا مدرسة عسكرية، وإدارية

(١) أحمد عبدالقادر الملاحي. المرجع السابق. ص ٢٥-٢٦.
(٢) انظر دستور جيش المكلا النظامي.
(٣) سلطان ناجي. المرجع السابق. ص١٦٧.

لتدريب الضباط، والإداريين، من جميع السلطنات الشرقية، وكذلك تخريج مساعدين إداريين، وضباط صف لكل أنواع القوات المسلحة في منطقة حضرموت[١].

٢- السلطنة الكثيرية سياسيًا وإداريًا:

تتكون الحكومة الكثيرية من السلطان، والوزير المعين، ومن القضاة[٢]، ولا يختلف نظام السلطنة الكثيرية كثيرًا عن نظام الحكم في السلطنة القعيطية باستثناء منصب الوزارة، فقد كان منصب الوزير في السلطنة الكثيرية ضعيفًا ومهمشًا مقارنة بمنصب الوزير في السلطنة القعيطية، ويعود السبب في ذلك إلى أن سلاطين الدولة الكثيرية كانوا مستقرين في حضرموت، بعكس سلاطين الدولة القعيطية الذين يقضون أكثر الوقت في الهند للإشراف على مصالحهم. يتكون مجلس الدولة الكثيري من ستة أعضاء ثلاثة رسميون، وهم السلطان، وولي عهده، والمستشار البريطاني (ينوب عنه سكرتيره المقيم في سيئون)، ومن ثلاثة أعضاء غير رسميين.

تشمل السلطنة الكثيرية سيئون وهي العاصمة، وتريم، وحوطة أحمد بن زين، وغيل بن يمين، وساه، وتاربه، والغرف، ومدودة، وتريس، وغيل عمر، ووادي بن علي، وبحيرة، وقارة آل عبدالعزيز، وكل هذه المدن والقرى تقع في وادي حضرموت[٣].

وابتداء من عام **١٩١٨**م تقاسم السلطان منصور بن غالب الكثيري، مع أخيه محسن بن غالب الكثيري، حكم السلطنة الكثيرية، وبموجبها أصبحت سيئون، ومريمه، وتريس، وماحولها للسطان منصور وأولاده من بعده، وأصبحت تريم

---

(١) سلطان ناجي. المرجع السابق. ص ١٦٨.

(٢) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني، ص ٨٨ وانظر
R. H. Smith, op. cit. p. 500.

(٣) صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. ص ٢١٢-٢١٣.

والغرف وما جاورها للسطان محسن وأولاده من بعده[١].

وقسِمت الدولة الكثيرية إداريًا على ثلاثة ألوية هي:

١- لواء سيئون ٢- لواء تريم ٣- لواء حوطة أحمد بن زين.

١- لواء سيئون: وتشمل مريمه، وحوطة السلطانة، وبور، ومدوده، وتريس، والغرفة، وغيل بن يمين[٢].

٢- لواء تريم: ويشمل غيل عمر، وتاربه، والغرف.

٣- لواء حوطة أحمد بن زين: ويشمل وادي بن علي، وبحيره، وقارة آل عبدالعزيز.

الشرطة الكثيرية المسلحة:

بالنسبة للسلطنة الكثيرية فإن مواردها ورقعتها لم تكن تسمح لها بإنشاء قوة عسكرية، كما كان الحال عند القعيطيين قبل تدخل الإنجليز المباشر. والواقع أن نفوذ بعض العائلات الثرية كآل الكاف مثلاً كان أكبر من نفوذ السلطان الكثيري، فأولى المؤسسات التربوية، والخيرية، ومشاريع الطرق، قامت بها عائلة آل الكاف، وكان تأثير أبي بكر الكاف على القبائل أكبر من تأثير السلطان[٣].

وكان الكثيريون قد اعتمدوا عند تأسيس السلطنة على قبائل الشنافر، وعلى المرتزقة من أشراف الجوف، والعبيد الذين لا يتجاوز عددهم (٤٠٠) جندي. وبدأ تأسيس الشرطة الكثيرية المسلحة منذ عام (١٩٣٧م)، حين قدم الضابط (هاملتون) من المحمية الغربية، للإشراف على تأسيسها وتدريبها. وقد زود البريطانيون هذه القوة بالبنادق، والذخيرة، وجزء من الرواتب، وكان مركز هذه

(١) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٢٣٨.
(٢) صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. ص٢١٣.
(٣) جعفر محمد السقاف. من أعمال الندوة التاريخية. ص ٢٥.

القوة سيئون، واستخدمت لحفظ الأمن في العاصمة، وفي تريم، وفي الطرق المؤدية إليهما.

٣- القضاء والمحاكم:

تعتمد المحاكم في حضرموت في قضائها على المذهب الشافعي كمذهب أساسي[١]، وكان القضاء قبل عام (١٩٤٠م) قضاءً شرعيًا بحتًا، أي أن المحاكم الشرعية، هي التي كانت تعالج القضايا الجنائية، والحقوقية المختلفة، وكانت هناك محكمة واحدة عرفية كانت لها صلاحيات النظر في بعض القضايا الجنائية والمنازعات الناشئة عن المعاملات التجارية[٢].

وقد أسس كل من محمد بن أحمد بركات، والقاضي حسين بن منصور القادم من الهند محاكم قانونية لأول مرة في حضرموت، فأنشئت المحكمة العليا، والمحكمة الابتدائية[٣]، وبهذا انقسم القضاء في السلطنة القعيطية على قسمين القسم الأول قضاء شرعي برئاسة رئيس القضاة الشرعيين، ويندرج تحت اختصاصه قضايا الحقوق، والمواريث، وغيرها من القضايا المدنية إضافة إلى جرائم القتل. القسم الثاني قضاء جنائي ويعمل فيه الحكام المدنيون النواب، والقوام، وهو يخضع لإدارة المحكمة العليا التي كان يرأسها حاكم هندي يسترشد في أحكامه، بالقوانين البريطانية، والهندية، ويصدر إرشاداته إلى الحكام الذين هم تحت إدارته طبقًا لتعاليم تلك القوانين، وكانت أحكام تلك المحاكم تستأنف إليه[٤].

وهذا الشكل من التقاضي أوجد نوعًا من تداخل المهام، والصلاحيات،

---

(١) عبدالرحمن عبدالله بكير. المدخل إلى المسائل المختارة لمحاكم حضرموت. مطبعة الإمام نصر. ص ١٤.
(٢) فتاة الجزيرة. العدد (٢٨٥)، السنة السادسة، ١٩ أغسطس ١٩٤٥م. ص ٦.
(٣) فتاة الجزيرة. العدد (٥٣٢)، السنة الحادية عشرة. ٦ أغسطس ١٩٥٠م. ص ١.
(٤) سعيد عوض باوزير. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي. ص ١٨٢.

وقد أشار سكرتير السلطنة في خطابه إلى نواب السلطنة إلى ممارسة اختصاصاتهم حسب القانون[١]، والقانون الذي تسير عليه المحاكم الشرعية، والجنائية هو القانون الإسلامي أي الشريعة الإسلامية، والمحاكم المدنية تطبق الإجراءات القانونية الوضعية بما لايتنافى مع روح الشريعة الإسلامية[٢].

ومما يلفت النظر في القضاة المدنيين في السلطنة أنهم كانوا لا يحملون أي شهادات جامعية باستثناء قاض واحد يُدعى عبدالعزيز عبدالرحمن الأنصاري رئيس محكمة الاستئناف[٣]، والحال كذلك عند المحامين الذين تعاملوا مع مهنة المحاماة عن طريق الخبرة، والذكاء الشخصي، وكان في مقدور أي إنسان أن يترافع أمام المحاكم كمحام إذ لا يتطلب المثول أمام المحاكم أي إذن رسمي[٤]، وفي عام (**١٩٤٢**م) أصدر السلطان صالح قانون تعديل محاكم الدولة، وكانت التعديلات في القانون شكلية، فمثلاً تعديل كلمة قاضي في المكلا إلى حاكم (مجسترات)[٥].

والمحاكم في الدولة الكثيرية شرعية، وعرفية، ففي المحاكم الشرعية تطبق أحكام المذهب الشافعي، وفي العرفية تطبق العادات، والأعراف، كما يستعان بقوانين بعض البلدان العربية، كمصر، والعراق في القضايا الجنائية[٦]، وعمومًا لا توجد في حضرموت مجالس تشريعية تصدر القوانين، ويقوم بإصدار القوانين مجلسا الدولة للسلطنتين[٧].

ونستنتج من ذلك أنه ليس في حضرموت خلال فترة هذه الدراسة نظام

---

(١) عبدالرحمن عبدالله بكير. المرجع السابق. ص ١٨٣.
(٢) فتاة الجزيرة. العدد (٢٨٥)، السنة السادسة، ١٦ أغسطس ١٩٤٥م. ص ٦.
(٣) فتاة الجزيرة. العدد (٣٠٢)، السنة السادسة، ٣٠ ديسمبر ١٩٤٥م. ص ٦.
(٤) فتاة الجزيرة. العدد (٥٣٢)، السنة الحادية عشرة، ٦ أغسطس ١٩٥٠م. ص ١.
(٥) انظر ملاحق دستور جيش المكلا النظامي.
(٦) فتاة الجزيرة. العدد (٣١٠)، السنة السابعة، ٢٤ فبراير ١٩٤٦م. ص ٦.
(٧) فتاة الجزيرة. العدد (٢٨٥)، السنة السادسة، ١٩ أغسطس ١٩٤٥م. ص ٦.

قضائي مدني بالمعنى المطبق في الدول المتمدنة ذات النظم الدستورية، وإنما هناك تعديلات يسيرة أُدخلت إلى نظام المحاكم، ونتيجة لانعدام الكادر القانوني الوطني المؤهل، ووجود القضاة الهنود في السلطنة القعيطية[١]؛ وجدت هوة كبيرة بين المحاكم الابتدائية التي تحكم برأيها، والمحكمة العليا التي يرأسها قاض هندي مستعينًا بقانونه الهندي، ولا شك أن النتيجة ستكون تباينًا في الأحكام[٢].

وفي المناطق القبلية غالبًا ما يتم الفصل في المنازعات عن طريق الأعراف القبلية، التي لها في كثير من الأحيان قوة القانون، ويمثل هنا شيخ القبيلة أو مقدمها دور القاضي، وترتبط قوة قراراته بقوة شخصيته، وأحيانًا لا يعمل بأحكامه، لهذا نجد بعض مقادمة القبائل يلجأون إلى العربون «العدالة» لضمان تنفيذ أحكامهم، والعربون هو أن تضع القبيلة، أو الفرد قطعة سلاح أو أكثر عند مقدم القبيلة، أو الحكم، أو المنصب، أو أي وسيط بينهما، كضمان لاستعدادهما بقبول الحكم، ولا يعاد العربون لصاحبه إلا بعد تنفيذ الحكم، وتكون قيمة العربون على قدر الدعوى[٣].

وقد يلجأ المتخاصمون في فصل خلافهما إلى أسلوب يعرف بـ"البشعة" وهي حديدةٌ تُحمى بالنار مكتوب عليها بعض الطلاسم يشك بها لسان المتهم أو المتخاصمين لاعتقادهم أنها لا تؤذي إلا المذنب[٤].

---

(١) ضمت المحاكم الجنائية إلى إدارة القضاء الشرعي في السلطنة القعيطية بعد صدور القانون الجنائي بأمر السلطان صالح عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م وبذلك أصبح القضاء في السلطنة جميعها شرعيًا تهيمن عليه إدارة واحدة هي إدارة المجلس العالي برئاسة رئيس القضاة الشرعيين، ولديه تستأنف أحكام المحاكم الحقوقية والجنائية. انظر: سعيد عوض باوزير. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي. ص ١٨٣.

(٢) فتاة الجزيرة. العدد (٣٣٩)، السنة السابعة، ٢٢ سبتمبر ١٩٤٦م. ص ٥.

(٣) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الثاني. ص ٣٤٥.

(٤) سعيد عوض باوزير. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي. ص.

وفي حدود ضيقة يلجأ بعض المتخاصمين لتأكيد صدقهما من كذبهما إلى ضريح أحد الأولياء للاعتقاد السائد والقوي آنذاك بأصحاب هذه الأضرحة، وأن الكاذب سيناله الانتقام[١].

❁❁❁❁❁

(١) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الثاني. ص ١٢٠.